اللآلىء والدرر

فى
علم خواتم السور

نماذج تطبيقية

إعداد

أحمد حامد محمد سعيد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم المساعد

بقسم التفسير وعلوم القرآن الكريم

بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية

جامعة الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد

فإن القرآن الكريم هو كتاب الله – تعالى – الذي أحكم سوره وآياته، وأتقن حروفه وكلماته، وجلَّى أهدافه وموضوعاته، وأبان عن أحكامه وغاياته، وأبدع في سباقه وبداياته، وسياقه ونهاياته ... وفصل ذلك كله من لدنه من فوق سماواته، قال ﷻ: ﴿ **كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** ﴾(١)

وكتاب بهذه السمات – وغيرها كثير – حرى أن يولى المؤمنون وجوههم شطره، وأن يعيشوا معه وله، متدبرين آياته ... متأملين متفكرين ... وهذا كله غرض جليل من أغراض نزوله على رسولنا محمد ﷺ، قال – جل وعلا –: ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ** ﴾(٢) .

وقد حقق علماؤنا الأجلاء ذلك – أيما تحقيق – واهتموا بهذا الكتاب المعجز اهتماما بالغا، وتفانوا في خدمته – ولن يزالوا – تفانيا حتى الموت، وسلكوا في ذلك مسالك شتى، وتعددت مناهجهم، وتباينت مشاربهم ... ونتج عن ذلك مؤلفات لا تحصى، ومصنفات لا تعد ولا تستقصى ...

---

(١) هود / ١ .
(٢) ص / ٢٩ .

ومما يدل على ذلك: علوم القرآن الكريم التي فاق عددها ثلاثمائة علما[١] تخدم كلها كتاب الله ﷻ قديما وحديثا، ولن تزال كذلك – إن شاء الله – حتى يرث الله – تعالى – الأرض ومن عليها ...

ومع هذا فإن ثمة علما من هذه العلوم لم ينل حظا وافرا وقسطا كبيرا من البحث والدراسة– فضلا عن الوضوح والظهور، حيث ظل حبيس السطور – مع أنه فن جليل وعلم كبير ... هذا العلم هو علم خواتم سور القرآن الكريم .

ويعضد هذا ما قرره أحد الباحثين المعاصرين حيث قال عن هذا النوع من علوم القرآن الكريم: (وهذا النوع قل اعتناء المفسرين به، وللرازي والبقاعى في تفسيريهما لمحات عنه مبثوثة هنا وهناك، ولعله ليس فيه تصنيف مفرد)[٢]، اللهم إلا ما ذكره الإمامان الزركشى في البرهان[٣] والسيوطي في الإتقان[٤] عنه .

ومن هنا نستطيع القول بأن جذور هذا العلم ولبناته قد وضعها هذان الإمامان الجليلان – رحمهما الله تعالى – ومعلوم أن الجذور واللبنات بحاجة إلى من يعهدهما ويرعاهما حتى نقطف الثمرات، ونجنى الأزهار اليانعات، ونجمع اللمحات، ونقف على اللآليء والدرر المباركات، وهذا هو هدفنا وغرضنا من هذا البحث – إن شاء الله تعالى –

وهذا على العكس من علم فواتح السور فقد كتب فيه القدامى والمحدثون والمعاصرون، وجلَّوْا حِكمه وأسراره، وكشفوا عن لطائفه وأنواره ...

ومن هنا كانت فكرة هذا البحث ولبنته التي اختمرت ونمت في الذهن شيئا فشيئا، والرغبة في الكتابة فيه ... وهدفي ومرامي من ذلك – كما ذكرت – أن

---

(١) راجع: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١ / ١٦ حيث قال – بعد أن ذكر ثمانين نوعا من أنواع علوم القرآن الكريم على سبيل الإجمال والإدماج –: (ولو نوعت باعتبار ما أدمجته في ضمنها لزادت على الثلاثمائة) .

(٢) علوم القرآن بين البرهان والإتقان دراسة موازنة للدكتور / حازم سعيد حيدر ص ١٨١ .

(٣) ١ / ١٨٢ .

(٤) ٤ / ٩٦٩ .

أميط اللثام عن علم الخواتم، وأجلى ما انطوى عليه من حكم وأسرار، ودقائق وأنوار ... وسميته (اللآليء والدرر في علم خواتم السور نماذج تطبيقية) .

ومحاولة معرفة أسرار هذا الكتاب العزيز باب من الأبواب التي ينبغي أن تولج– ولا توصد – ففيها فوائد جمة، وهدايات عديدة ...

ورحم الله شيخنا ابن قيم الجوزية حين قال عن أسرار القرآن وعجائبه: (وهذا باب قد فتحه الله لي ولك فلجه، وانظر إلى أسرار الكتاب وعجائبه، وموارد ألفاظه جمعا وإفرادا، وتقديما وتأخيرا إلى غير ذلك من أسراره ...)[1] .

وقد قسمته إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة:

أما المقدمة – وهى التي نحن بصددها –: فقد أومأت فيها إلى اعتناء العلماء– قديما وحديثا – بالتنزيل العزيز، وإلى سبب اختيار الموضوع، والهدف منه .

وأما التمهيد: فقد ذكرت فيه تعريف علم الخواتم، ثم أهميته، ثم جذوره ولبناته، ثم علاقة هذا العلم بعلم المناسبات والفرق بينهما .

وأما المبحث الأول: فقد خصصته لأنواع علم الخواتم: وتعليقات ووقفات .

وأما المبحث الثاني: فقد عرضت فيه لنماذج تطبيقية لهذا العلم الجليل، وما تضمنته من أسرار شتى ولطائف عديدة ...

وأما الخاتمة: فقد ضمنتها أهم النتائج والتوصيات .

وقد التزمت في بحثي هذا بمنهج سأسير عليه– بإذن الله تعالى – ويتمثل فيما يلي:

* عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها، وذكر رقم الآية .

* تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها الأصيلة، حيث أذكر اسم الكتاب والباب، ورقم الجزء والصفحة، والحكم على الحديث – إن وجد –

* عزو الآثار إلى قائليها، وتوثيقها من مظانها .

---

(١) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١ / ١١٧ .

* عدم التراجم للصحابة، والرواة أو الأعلام ؛ إذ لا يخفى واحد منهم على متخصص، لئلا ينشغل القارئ بالفرع عن الأصل، والقشر عن اللباب، وهذا أحد المناهج العلمية المتبعة فى ذلك .

* ذكر اسم الكتاب ومؤلفه عند وروده أول مرة، وترك ذكر الطبعة وسائر بيانات المؤلَّف وصاحبه لفهرس المراجع ؛ حتى لا تثقل الحاشية بما سيتكرر بعد .

* فهرس المراجع والمصادر .

* الفهرس العام لمحتويات البحث .

وأخيرا: الله – تعالى – أسأل التوفيق والسداد، والعون والمدد والرشاد، والإخلاص في القول والفعل والعمل، وأن ينفع به كاتبه وقارئه ... والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

وصلى الله – تعالى – وأنعم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم .

تمهيد

اقتضت طبيعة البحث العلمي ومنهجيته أن يذكر الباحثون أو المؤلفون – بين يدي أبحاثهم أو مؤلفاتهم– تعريفا للموضوع الذي هم بصدد الحديث عنه، أو الكتابة فيه ... والإشارة إلى أهميته، وبيان جذوره التي يتألف منها، وعلاقة ما هم بصدد الكتابة فيه بغيره من العلوم – إن كان بينهما تقارب – ... إلى آخر ما يتعلق بمثل هذه الأمور، وذلك قبيل الولوج في غمار البحث، والخوض في لب الحديث وثناياه ... وسوف نعرض لذلك – بمشيئة الله تعالى – فيما يلي:

*** تعريف علم خواتم السور:**

ونستهل ذلك – أولا – بتعريف كل لفظة من هذه الألفاظ على حدة، ثم نقفى – ثانيا – بتعريف علم خواتم السور كمركب إضافي .

أما كلمة **(علم)**: فهي في اللغة: نقيضُ الجهل، يقال: عَلِمْتُ – بالكسر – الشيءَ أَعْلَمُه عِلْماً عَرَفْتُه[١] .

وفى المصباح المنير[٢] (وَجَاءَ بِمَعْنَى الْمَعْرِفَةِ – أَيْضًا – كَمَا جَاءَتْ بِمَعْنَاهُ ضُمِّنَ كُلُّ وَاحِدٍ مَعْنَى الْآخَرِ ؛ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي كَوْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مَسْبُوقًا بِالْجَهْلِ ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ وَإِنْ حَصَلَ عَنْ كَسْبٍ فَذَلِكَ الْكَسْبُ مَسْبُوقٌ بِالْجَهْلِ، وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿ **مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ** ﴾[٣]أَيْ: عَلِمُوا، وَقَالَ – تَعَالَى –: ﴿ **لَا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ** ﴾[٤] أَيْ: لَا تَعْرِفُونَهُمْ اللَّهُ يَعْرِفُهُمْ)[٥] .

وقال ابن فارس – رحمه الله –: (العين واللام والميم أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على أثَرٍ بالشيء يتميَّزُ به عن غيره)[٦] .

وعلى هذا فالمراد من العلم هو المعرفة والتمييز، أي: معرفة ما يتعلق بخواتم السور وأواخرها، وما تتميز به هذه الخواتم عن غيرها – كما سيتضح لنا بعد إن شاء الله تعالى – .

الفرق بين العلم والمعرفة، وسر اختيار الكلمة الأولى دون الثانية:

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١٢ / ٤١٦، الصحاح في اللغة للجوهري ٥ / ١٩٩٠، المخصص لابن سيده ١ / السفر الثالث / ٢٨

(٢) ص ٢٢١ .

(٣) المائدة / ٨٣ .

(٤) الأنفال / ٦٠ .

(٥) راجع تفسير الآيتين في: جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ٥ / ٦، ١ / ٣٧٠ .

(٦) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤ / ٨٧ .

ولا يخفى أن كلمة العلم إذا ذكرت فإن كلمة المعرفة تذكر تبعا لها باعتبار ترادفهما ظاهرا – مع أن الأصل خلاف ذلك – ومن هنا كان لزاما علينا تجلية الفرق بينهما، وبيان السر في اختيار كلمة العلم دون المعرفة .

* أما عن الفرق بينهما فقد سبق بيان المراد من كلمة العلم، وأما المعرفة فقد تعدد المراد منها بناء على تخصص أهل كل فن، وقد جلى المراد منها العلامة الجرجاني – رحمه الله – فقال: (المعرفة: ما وضع ليدل على شيء بعينه، وهى المضمرات والأعلام والمبهمات وما عرف باللام والمضاف إلى أحدها إضافة معنوية، والمعرفة – أيضا – إدراك الشيء على ما هو عليه، وهى مسبوقة بنسيان حاصل بعد العلم، بخلاف العلم، ولذلك يسمى الحق – تعالى – بالعالم دون العارف)[1]، وقيل: غير ذلك .

والناظر إلى هذين التعريفين يلفى أن أولهما يعود إلى أهل اللغة العربية لاسيما علماء النحو ؛ إذ التعريف المذكور هو نفسه تعريف العَلَم المضاد للنكرة عندهم، وأما التعريف الثاني فهو تعريف عام، وهو المقارب لتعريف العِلْم .

ولعل قول العلامة الجرجاني عن المعرفة: (وهى مسبوقة بنسيان حاصل بعد العلم، بخلاف العلم) يوضح الفرق بينهما، وهو أن العلْم يكون سابقا على المعرفة، كما أن المعرفة لا تحصل إلا بعد نسيان سبقه علم، أي: أن العلم يكون أولا، ثم نسيان بعد ذلك، يعقبه معرفة .

وثمة فرقان آخران وهما أن المعرفة أخص من العلم، وضدها الإنكار، والعلم ضده الجهل .

وأما كون كلمة العلم خاصة بالله – تعالى – دون كلمة المعرفة ؛ فلأن معرفة البشر لله تكون بتدبر آثاره، دون إدراك ذاته، ومن هنا يقال: الله يعلم كذا، ولا يقال: يعرف كذا ؛ لأن المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل به بتفكر [2] .

---

(١) التعريفات للجرجاني ص ٣٠٨ .

(٢) راجع: المفردات في غريب القرآن للراغب ١ / ٩٦٩ .

* وأما عن سر اختيار كلمة العلم دون المعرفة فلأن العلم أعم، ولأن أهل الاصطلاح اتفقوا على تسمية ما يتعلق بالقرآن الكريم علوما لا معارف، وخواتم السور ودررها وأسرارها أحد هذه العلوم ؛ لذا كانت كلمة العلم أنسب وأقرب في التعبير من كلمة المعرفة .

وكلمة **(خواتم)**: الخواتم والخواتيم: جمع خاتمة، وهى نقيض الافتتاح، والمراد بها: آخِر الشيء وعاقبته،

قال ابن فارس – رحمه الله –: (الخاء والتاء والميم أصلٌ واحد، وهو بُلوغ آخِرِ الشّيء، يقال خَتَمْتُ العَمَل، وخَتم القارئ السُّورة ...)[١] .

ويقال: اخْتَتَمْتُ الشيءَ: نقيض افتتحتُه، وخاتِمَةُ الشيء: آخرُه وعاقبته، وخاتِمَةُ السورة آخرُها، ومحمدٌ ﷺ خاتِمُ الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام –، والخِتامُ: الطينُ الذي يُخْتَمُ به، وقوله – تعالى –: ﴿ **خِتامُهُ مِسْك** ﴾[٢] أي آخِره ؛ لأنّ آخر ما يجدونه رائحةُ المسك[٣] .

وكلمة **(السُّوَر)** في اللغة: جمع سُورة، وهى المنزلة والدرجة والرفعة .

قال النابغة: أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أَعطاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ ؟[٤] معناه: أَعطاك رفعة وشرفاً ومنزلة[٥] .

قال ابن فارس – رحمه الله –: (السين والواو والراء أصلٌ واحد يدلُّ على علوٍّ وارتفاع ... والسُّور: جمع سُورة، وهي كلُّ منْزلةٍ من البناء)[٦] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٢ / ١٨٥ .
(٢) المطففين / ٢٦ .
(٣) الصحاح في اللغة ٥ / ١٩٠٨، لسان العرب ١٢ / ١٦٣، وانظر تفسير الآية في: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩ / ٢٦٥، مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفى ٤ / ٣٢٥ .
(٤) البيت في صبح الأعشى للقلقشندى ٢ / ١٤ .
(٥) راجع: لسان العرب ٤ / ٣٨٤، الصحاح في اللغة ٢ / ٦٩٠ .
(٦) معجم مقاييس اللغة ٣ / ٩٠ .

والسُّورَةُ من سُوَرِ القرآن: القطعة منه، وقد أَنزل الله ﷻ القرآن على نبيه ﷺ شيئاً بعد شيء وجعله مفصلاً، وبيَّن كل سورة بخاتمتها وبادئتها وميزها من التي تليها .

وفى الاصطلاح: عبارة عن آيات مسرودة لها مبدأ ومختم[1] .

وأما تعريف علم خواتم السور كمركب إضافي فلم نجد لعلمائنا قدامى ومحدثين – حسب ظننا – فيه قولا – وهذا من القليل النادر – ولذا كان لزاما علينا أن نجتهد في وضع تعريف مناسب له ؛ حتى نوفيه حقه، ونلم بجميع جوانبه ...

وهذا التعريف – حسب اجتهادنا – هو: **(العلم الذي يتحدث عن أواخر السور القرآنية وخواتيمها – سواء أكان آية أم آيتين أم ثلاث أم أكثر – وما ينطوي عليه من حكم ودقائق وفوائد، وأسرار ولطائف وفرائد ونحو ذلك)** .

وذلك كقوله – تعالى – في خاتمة سورة الفاتحة[2]: ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ** ﴾، وقوله – سبحانه – في خاتمة سورة البقرة[3] ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكانى ٣ / ٢ .
(٢) آيتا (٦، ٧) .
(٣) آيتا (٢٨٥، ٢٨٦) .

﴾ وسيأتي بيان ما فيهما – وغيرهما – من لآلىء ودرر وحكم وأسرار – بإذن الله تعالى –

ويلاحظ في هذا التعريف أنه يهدف إلى ربط آيات القرآن الكريم كلها بعضها ببعض، وبيان العلاقات العديدة بينها – وسوف تتجلى لنا – لا فرق بين صدر وعجز، وأول وآخر، وبداية ونهاية ...

إذ قولنا: (وما ينطوي عليه من حكم ودقائق وفوائد، وأسرار ولطائف وفرائد) يبين – أول ما يبين – عن مناسبة الآي، والعلاقة التي جسدها المفسرون بينها، ومن ذلك نقف على لمحة عاجلة من لمحات الأسرار – من وجهة نظرنا القاصرة – التي من أجلها ختم الله – تعالى – سور القرآن الكريم بما ختم به ...

وقد أماط العلامة أبو حيان – رحمه الله – عما بين علمي أوائل السور وخواتمها من تناسب دقيق، وتلاؤم عميق، وأنه لون من ألوان الفصاحة والإعجاز فقال: (وقد تتبعت أوائل السور المطولة فوجدتها يناسبها أواخرها، بحيث لا يكاد ينخرم منها شيء، وسأبين ذلك إن شاء الله في آخر كل سورة سورة، وذلك من أبدع الفصاحة، حيث يتلاقى آخر الكلام المفرط في الطول بأوله، وهي عادة للعرب في كثير من نظمهم، يكون أحدهم آخذاً في شيء، ثم يستطرد منه إلى شيء آخر، ثم إلى آخر، هكذا طويلاً، ثم يعود إلى ما كان آخذاً فيه أولاً، ومن أمعن النظر في ذلك سهل عليه مناسبة ما يظهر ببادئ النظم أنه لا مناسبة له)[1] .

ولا عجب في ذلك– البتة– فكله كلام الله – سبحانه – المعجز في ألفاظه، المعجز في مبانيه، المعجز في معانيه، المعجز في تناسقه، المعجز في ترابطه،

(١) البحر المحيط لأبى حيان ٢ / ٣٦٣ .

المعجز في مراميه ... وصدق الله – تعالى – إذ يقول: ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾(١) .

*** أهميته:**

تعود أهمية علم خواتم السور أو أواخرها إلى علم فواتح السور ؛ وذلك باعتبار أن الفواتح والخواتم في كل كلام بليغ لا ينفك أحدهما عن الآخر، فكل فاتحة لها خاتمة، والعكس ... ولكل منهما حِكَم وأسرار ...

وإذا كانت هذه الفواتح والخواتم في أفصح كلام وأبلغ قول وأعجز أسلوب – وهو كلام الله ﷻ – فلا ريب أن الارتباط بينهما يكون أكثر، وأن أهميتهما تكون أكبر، وأن أسرارهما تكون أعظم وأفخم ...

ولعل سر هذه الأهمية بالنسبة للفواتح يرجع إلى أنها أول ما يقرع الآذان، وهذا أمر من الأهمية بمكان، ويعضده قولهم: إن الانطباع الأول – سواء أكان قولا أم فعلا أم أي تصرف – هو الذي يدوم .

وبالنسبة لعلم الخواتم فإنها آخر ما يسمعه الإنسان، وهو أمر – أيضا – له رنينه – أولا – ورسوخه وتمكنه – ثانيا – في الذهن، فضلا عن العقل والقلب ...

وكون الخواتم كالفواتح في الأهمية والحسن والجودة ... هو ما قرره علماؤنا القدامى – رحمهم الله تعالى – حين عرضوا في بعض مصنفاتهم للحديث عن هذا العلم – موضوع البحث – .

يقول الإمام الزركشى – رحمه الله – وهو بصدد تعداد أنواع علوم القرآن تحت عنوان: النوع الثامن: في خواتم السور: (وهى مثل الفواتح في الحسن ؛ لأنها آخر ما يقرع الأسماع فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة مع إيذان السامع بانتهاء

(١) هود / ١ .

الكلام حتى يرتفع معه تشوف النفس إلى ما يذكر بعد)[1] .

ولعل تعقيبه – رحمه الله – علم الخواتم بفصلين: فصل في مناسبة فواتح السور وخواتمها، وفصل في مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها دلالة قاطعة وأمارة ساطعة على أهمية هذا العلم الجليل، وإليك نص كلامه ؛ ليسكن القلب، ويطمئن الفؤاد .

ففي الفصل الأول قال: (فصل في مناسبة فواتح السور وخواتمها، ومن أسراره: مناسبة فواتح السور وخواتمها، وتأمل سورة القصص وبداءتها فقال بقصة مبدأ أمر موسى ونصرته، وقوله: ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾[2] وخروجه من وطنه ونصرته وإسعافه بالمكالمة، وختمها بأمر النبي ﷺ بألا يكون ظهيرا للكافرين وتسليته بخروجه من مكة والوعد بعوده إليها بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾[3] .

قال الزمخشري – رحمه الله –: وقد جعل الله فاتحة سورة المؤمنين ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[4] وأورد في خاتمتها ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾[5] فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة .

وقال في الفصل الثاني: (فصل في مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها ومن أسراره: مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها حتى إن منها ما يظهر تعلقها به لفظا كما قيل في ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[6]، ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾[1]،

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشى ١ / ١٨٢، الإتقان ٤ / ٩٦٩ .
(٢) القصص / ١٧ .
(٣) القصص / ٨٥ .
(٤) المؤمنون / ١ .
(٥) المؤمنون / ١١٧ .
(٦) الفيل / ٥ .

وفى الكواشى لما ختم سورة النساء أمرا بالتوحيد والعدل بين العباد أكد ذلك بقوله في أول سورة المائدة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ ﴾[٢])[٣] .

وفى كلام أبى حيان السالف، وكونه قد تتبع أوائل السور المطولة فوجد بينها وبين أواخرها مناسبات، وأبان عن ذلك في آخر كل سورة ... ما يدل – دلالة قاطعة – على أهمية هذا العلم – علم الخواتم – وأن له قدرا جليلا، وشأوا عظيما، شأنه في ذلك شأن سائر العلوم التي تخدم كتاب الله ﷻ .

*** جذوره ولبناته:**

من الأمور المسلمة لدينا أن علوم القرآن الكريم عديدة لا تحصى ولا تستقصى، ومن رام الدليل على ذلك فليقرأ أي مؤلف من المؤلفات التي عنيت بكتاب الله – تعالى – واهتمت به، وحينئذ سيجد نفسه أمام رياض مليء بالورود والأزهار، وبحر لا يدرك له غوار ولا قرار ...

ومع هذه الكثرة الهائلة التي تُعجز من رام الوصول إليها عن حصرها أو استيعابها فإن بعض هذه العلوم لم يؤلف فيه شيء على سبيل الاستقلال – وهو نذر يسير – إذ لم يفرده أحد من علمائنا – حسب علمي المحدود – ببحث أو مؤلف .

ومن هذه العلوم العلم الذي نحن بصدد بيان درره وتجلية أسراره – حسب جهدنا – وهو علم أواخر السور، اللهم إلا ما ذكره الإمامان الزركشى في البرهان[٤] والسيوطي في الإتقان[٥] عن ذلك – وهما بصدد تعداد أنواع علوم القرآن الكريم –

---

(١) قريش / ١ .
(٢) المائدة / ١ .
(٣) البرهان ١ / ١٨٥، ١٨٦، وقول الزمخشرى في كشافه ٤ / ٢٥٤ .
(٤) ١ / ١٨٢ .
(٥) ٤ / ٩٦٩ .

وسيأتي كلامهما[1] ويكاد يكون كلام الأخير منهما تكرارا للأول إلا في القليل النادر .

*** علاقة هذا العلم بعلم المناسبات، والفرق بينهما:**

أما عن العلاقة فإن علم الخواتم جزء من كل من علم المناسبات، وذلك لأن الأخير يشتمل على أنواع عديدة أحدها علم الخواتم، وقد جلى ذلك كثير من المفسرين فليرجع إليه من أراد في مصنفاتهم.

وأما عن الفرق بينهما فيتضح من تعريف كل منهما، وقد سبق التعريف بعلم الخواتم، وأما علم المناسبات فهو: علم يجعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء [2] .

والمراد به في التنزيل العزيز: ارتباط السورة أو الآيات أو الآية بما قبلها وبما بعدها .

(١) ص ١١، ١٤ .
(٢) البرهان ١ / ٣٦ .

المبحث الأول

أنواع الخواتم: وتعليقات ووقفات

يدرك القارئ للقرآن الكريم، ومن له أدنى صلة بسوره الكريمات – لأول وهلة – أن خواتم السور عديدة وكثيرة، وذلك بناء على تعدد السور، فكما أن عدد السور مائة وأربع عشرة سورة فكذلك الخواتم .

وربما يقول هذا القارئ أو غيره: إن كل سورة لها خاتمة تباين خاتمة السورة الأخرى، ومن هنا تعددت الخواتم – أيضا –

والمتأمل والمتدبر في الخواتم يرى أن كلا من الإدراك والقول هذين ليسا بمسلَّمَيْن ؛ إذ قد تتفق بعض السور في الخواتم فتندرج تحت نوع واحد منها، وهذا كثير جدا، وعلى هذا فلا تعدد لأنواع الخواتم، وإنما يمكن حصرها والإحاطة بها، وسوف يستبين لنا ذلك كله – إن شاء الله تعالى –

وقد ذكر الإمام الزركشى – رحمه الله – عددا من أنواع الخواتم على سبيل الإجمال – أولا – ثم فصل – بعد ذلك – ومثَّل لما أجمل .

أما إجماله فكونها تدور (بين أدعية ووصايا وفرائض ومواعظ وتحميد وتهليل ووعد ووعيد إلى غير ذلك)[1] .

وأما تفصيله فقد عرض فيه للنصف الأول من خواتم سور القرآن بدءا من سورة الفاتحة وحتى سورة الكهف، ونوه في خاتمة كلامه أنه قد ذكر ذلك ؛ ليكون مثالا لبقية خواتم السور يحتذى به ويقاس عليه ...

وهاك هذا التفصيل بشيء من الترتيب والتنسيق، والزيادة والتعليق:

١ – **تفصيل جملة المطلوب** كما في خاتمة سورة الفاتحة، وذلك أن المطلوب الأعلى الإيمان المحفوظ من المعاصي المسببة لغضب الله والضلال، ففصل جملة ذلك بقوله: ﴿ **الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ** ﴾[2] والمراد المؤمنون ؛ ولذلك أطلق الإنعام

(١) البرهان ١ / ١٨٢ .
(٢) الفاتحة / ٧ .

ولم يقيده ليتناول كل إنعام ؛ لأن من أنعم الله عليه بنعمة الإيمان فقد أنعم الله عليه بكل نعمة ؛ لأن نعمة الإيمان مستتبعة لجميع النعم، ثم وصفهم بقوله: ﴿ **غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ** ﴾[1] يعني أنهم جمعوا بين النعم المطلقة وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله والضلال المسببين عن معاصيه، وتعدى حدوده .

٢- **الدعاء** الذي اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة[2]، وهما قوله ﷻ: ﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ .

٣- **الوصايا** التي ختمت بها سورة آل عمران بالصبر على تكاليف الدين والمصابرة لأعداء الله في الجهاد ومعاقبتهم، والصبر على شدائد الحرب والمرابطة في الغزو المحضوض عليها بقوله: ﴿ **وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾[3] والتقوى الموعود عليها بالتوفيق في المضايق وسهولة الرزق في قوله: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللهَّ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ** ﴾[4] وبالفلاح ؛ لأن أنه من الله واجبة، وذلك فى قوله ﷻ :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ** ﴾[5] .

---

(١) الفاتحة / ٧ .
(٢) آية (٢٨٦) .
(٣) الأنفال / ٦٠ .
(٤) الطلاق / ٢، ٣ .
(٥) آل عمران / ٢٠٠ .

٤- **الوصايا والفرائض** التي ختمت بها سورة النساء، وحسن الختم بها ؛ لأنها آخر ما نزل من الأحكام عام حجة الوداع، كما قال – تعالى –: ﴿ **يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاء فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾[١] .

٥- **التبجيل والتعظيم** الذي ختمت به سورة المائدة[٢]، وهو قوله – تعالى –: ﴿ **للهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ ولإرادة المبالغة في التعظيم اختيرت ما على من لإفادة العموم فيتناول الأجناس كلها .

٦- **الوعد والوعيد** اللذان ختمت بهما سورة الأنعام[٣] وهو قوله – تعالى – : ﴿ **إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ ولذلك أورد على وجه المبالغة في وصف العقاب بالسرعة وتوكيد الرحمة بالكلام المفيد لتحقيق الوقوع .

٧- **التحريض على العبادة بوصف حال الملائكة** الذي ختمت به سورة الأعراف[٤]، وهو قوله ﷻ: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ** ﴾ .

٨- **الحض على الجهاد وصلة الأرحام** التي ختمت به سورة الأنفال[٥]، وهو قوله ﴿ ﷻ **وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ .

---

(١) النساء / ١٧٦ .
(٢) آية (١٢٠) .
(٣) آية (١٦٥) .
(٤) آية (٢٠٦) .
(٥) آية (٧٥) .

٩- **وصف الرسول ومدحه والاعتداد** على الأمم به وتسليمه ووصيته، والتهليل الذي ختمت به سورة براءة[١]، وهو قوله ﷻ: ﴿ **لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ .

١٠- **تسليته** ﷺ التي ختمت بها سورة يونس، ومثلها خاتمة سورة هود، وهى قوله ﷻ: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ** ﴾ في يونس[٢] عليه السلام .

﴿ **وَللّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ في هود[٣] عليه السلام .

١١- **وصف القرآن ومدحه** الذي ختمت به سورة يوسف[٤]، وهو قوله ﷻ : ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ .

١٢- **الرد على من كذب الرسول** ﷺ الذي ختمت به سورة الرعد[٥]، وهو قوله ﷻ : ﴿ **وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ** ﴾ .

١٣- **مدح القرآن وذكر فائدته والعلة في أنه إله واحد** الذي ختمت به سورة إبراهيم[٦]، وهو قوله – سبحانه –: ﴿**هَـذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ**

(١) آية (١٢٩) .
(٢) آية (١٠٩) .
(٣) آية (١٢٣) .
(٤) آية (١١١) .
(٥) آية (٤٣) .
(٦) آية (٥٢) .

إِلَـــــــــــهٌ وَاحِـــــــــــدٌ وَلِيَـــــــــــذَّكَّرَ أُوْلُـــــــــــواْ الأَلْبَابِ ﴾ .

١٤- **وصية الرسول** ﷺ التي ختمت بها سورة الحجر[١]، وهو قوله – جل وعلا –: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ .

١٥- **تسلية الرسول بطمأنينته ووعد الله – سبحانه** – الذي ختمت به سورة النحل[٢]، وهو قوله ﷻ: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِّ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَـيْهِمْ وَلاَ تَـكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللهَّ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ .

١٦- **التحميد** الذي ختمت به سورة سبحان[٣]، وهو قوله ﷻ: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ للهِّ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِـيراً ﴾ .

١٧- **تحضيض الرسول على البلاغ والإقرار بالتنزيه والأمر بالتوحيد** الذي ختمت به سورة الكهف[٤]، وهو قوله ﷻ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّـثْلُكُمْ يُـوحَى إِلَيَّ أَنَّـمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّـهِ أَحَداً ﴾ .

ونقل الإمام السيوطي – رحمه الله – معظم كلام الإمام الزركشى ووضح بعضه فقال: (ومن أوضح ما آذن بالختام خاتمة إبراهيم[٥] ﴿ هَـذَا بَـلاَغٌ لِّلنَّاسِ ﴾

(١) آية (٩٩) .
(٢) آية (١٢٨) .
(٣) آية (١١١) .
(٤) آية (١١٠) .
(٥) آية (٥٢) .

الآية، ومثلها خاتمة الأحقاف[١]، وكذا خاتمة الحجر[٢] بقوله: ﴿ **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾، وهو مفسر بالموت فإنها في غاية البراعة)[٣] .

وزاد بعضا آخر من أنواع الخواتم فقال: (وانظر إلى سورة الزلزلة كيف بدئت بأهوال القيامة وختمت بقوله: ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ** ﴾[٤] .

وانظر إلى براعة آخر آية نزلت وهي قوله: ﴿ **وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ** ﴾[٥]، وما فيها من الإشعار بالآخرية المستلزمة للوفاة .

وكذا آخر سورة نزلت وهي سورة النصر فيها الإشعار بالوفاة، كما أخرج البخاري[٦] من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس " أن عمر سألهم عن قوله: ﴿ **إِذَا جَاء نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ** ﴾[٧] قالوا: فتح المدائن والقصور، قال: ما تقول يا ابن عباس ؟ قال: أجل أو مثل ضرب لمحمد ﷺ نعيت له نفسه " .

وأخرج – أيضاً – عنه[٨] قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر: إنه من قد علمتم، ثم دعاهم ذات يوم فقال: ما تقولون في قول الله: ﴿ **إِذَا جَاء نَصْرُ اللّهِ**

---

(١) آية (٣٥) وهى قوله – تعالى –: ﴿ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .
(٢) آية (٩٩) .
(٣) الإتقان ٤ / ٩٧٠ .
(٤) الزلزلة / ٧، ٨ .
(٥) البقرة / ٢٨١ .
(٦) في صحيحه ك التفسير باب قوله:﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً ﴾ ٤ / ١٩٠١ (٤٦٨٥) .
(٧) النصر / ١ .
(٨) في صحيحه ك التفسير باب قوله:﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ... ﴾ ٤ / ١٩٠١ (٤٦٨٦) .

وَالْفَتْحُ ﴾[1] فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا جاء نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت: لا، قال: فما تقول ؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال: ﴿ إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾[2] وذلك علامة أجلك ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾[3] فقال عمر: إني لا أعلم منها إلا ما تقول)[4] .

تعليق:

وبالنظر في كلام الإمامين الجليلين نلفى أن حديثهما عن علم خواتم السور قد ارتبط ارتباطا وثيقا بالآية الأخيرة من كل سورة، وهذا – كما هو معلوم – يقابل علم الفواتح ؛ حيث إنه يتعلق– على الضد من علم الخواتم – بالآية الأولى، أو بالاستهلال الذي استهلت به سور التنزيل العزيز .

* كما أن كلا منهما قد ذكر أنواعا عديدة لعلم الخواتم، أوصلها الإمام الزركشى إلى سبعة عشر نوعا، وهى النصف الأول من سور القرآن الكريم، وقال عقب ذلك: (وقد أتينا على نصف القرآن ؛ ليكون مثالا لمن نظر في بقيته)[5] .

واقتصر الإمام السيوطي – رحمه الله – منها على اثني عشر نوعا تبتدئ بسورة الفاتحة وحتى سورة الحجر، ولم يعقب عليها بشيء، بيد أنه زاد عليها سورتين من سور المفصل هما الزلزلة والنصر، وزاد – أيضا– آخر آية نزلت وهى

(١) النصر / ١ .
(٢) النصر / ١ .
(٣) النصر / ٣ .
(٤) الإتقان ٤ / ٩٧٠ .
(٥) البرهان ١ / ١٨٥ .

قولـه – تعـالى –: ﴿ **وَاتَّقُـوا يَوْمـاً تُرْجَعُـونَ فِيـهِ إِلَى اللهِّ** ﴾[1] .

* ونود أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى أن جُل الآيات التي ذكرت في الأنواع السابقة هي من زيادتنا وإضافتنا ؛ وقد فعلنا ذلك ليكون النوع المذكور مقرونا بما يدل عليه، فيقتنع القارئ بما يقرأ، ولا يبقى في نفسه شيء يتشوف إليه أو يتمنى أن لو ذكر .

* وإذا كان الإمام الزركشى قد ذكر خواتم سور نصف القرآن الأول من باب التمثيل، فحرى بنا أن ننهج نهجه، ونقتفى أثره، ونسير على خطاه، فنذكر أنواعا أخر لهذا العلم الجليل نبتدئها بسورة مريم متممين ما ابتدأه – رحمه الله – وذلك فيما يلي:

١٨- **إهلاك القرون السابقة** كما في خاتمة سورة مريم[2] ﴿ **وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا** ﴾ .

١٩- **التهديد** كما في خاتمة سورة طه[3] ﴿ **قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى** ﴾ .

٢٠- **الدعاء والاستعانة بالله- تعالى** – كما في خاتمة سورة الأنبياء[4] ﴿ **قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** ﴾ .

٢١- **بعض الأوامر الإلهية للمؤمنين** كما في خاتمة سورة الحج[1] ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** *

(١) البقرة / ٢٨١ .
(٢) آية (٩٨) .
(٣) آية (١٣٥) .
(٤) آية (١١٢) .

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ .

٢٢- **الدعاء** كما في خاتمة سورة المؤمنون[٢] ﴿ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ .

٢٣- **بيان ملك الله وسعة علمه – سبحانه** – كما في خاتمة سورة النور[٣] ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

٢٤- **صفات عباد الرحمن** كما في خاتمة سورة الفرقان[٤] ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى

---

(١) آيتا (٧٧، ٧٨) .
(٢) آية (١١٨) .
(٣) آية (٦٤) .
(٤) آيات (٦٣: ٧٧) .

اللهَّ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا * أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ .

25- **نجاة المؤمنين الذين يعملون الصالحات والذاكرين الله كثيرا ... وتهديد الظالمين** كما في خاتمة سورة الشعراء[1] ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَّ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

٢٦- **الأمر بحمده** ﷻ كما في خاتمة سورة النمل[2] ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ للهَّ سَيُرِيكُمْ آَيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ .

٢٧- **النهى عن الإشراك به** ﷻ **وبيان هلاك كل شيء إلا وجهه - تعالى - وقصر الحكم عليه، والمرجع إليه - سبحانه** - كما في خاتمة سورة القصص[3] ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهَّ إِلَهًا آَخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

٢٨- **هداية الله للمجاهدين، ومعيته للمحسنين** كما في خاتمة سورة العنكبوت[4] ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَّ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

---

(١) آية (٢٢٧) .
(٢) آية (٩٣) .
(٣) آية (٨٨) .
(٤) آية (٦٩) .

٢٩- **الأمر بالصبر** كما في خاتمة سورة الروم[١] ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ** ﴾.

٣٠- **مفاتح الغيب عنده – تعالى** – كما في خاتمة سورة لقمان[٢] ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾.

٣١- **أمره ﷺ بالإعراض عن الكافرين، وانتظار عاقبتهم وجزائهم** كما في خاتمة سورة السجدة[٣] ﴿ **فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ** ﴾.

٣٢- **تعذيب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات، وتوبته – سبحانه – على المؤمنين والمؤمنات** كما في خاتمة سورة الأحزاب[٤] ﴿ **لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾.

٣٣- **الحيلولة بين الكافرين وبين ما يشتهون، شأنهم في ذلك شأن أشياعهم السابقين** كما في خاتمة سورة سبأ[٥] ﴿ **وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ** ﴾.

---

(١) آية (٦٠).
(٢) آية (٣٤).
(٣) آية (٣٠).
(٤) آية (٧٣).
(٥) آية (٥٤).

٣٤- عدم مؤاخذة الله الناس بما كسبوا، وتأخيره إياهم إلى أجل مسمى كما في خاتمة سورة فاطر[١] ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾ .

٣٥- الملكوت والكون كله بيده - سبحانه - ، والمرجع إليه - تعالى - وحده كما في خاتمة سورة يس[٢] ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

٣٦- اختصاص الحمد به - سبحانه - كما في خاتمة سورة الصافات[٣] ﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

٣٧- القرآن ذكر للعالمين، وسيعلم الناس قدره وشأوه - بعد - كما في خاتمة سورة ص[٤] ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ .

٣٨- تسبيح الملائكة بحمد ربهم، وذكرهم له - تعالى - كما في خاتمة سورة الزمر[٥] ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

٣٩- سنة الله في خلقه: ألا ينفع الإيمان صاحبه - إذا لم يكن مؤمنا في الدنيا - حين يرى - أو ينزل به- العذاب كما في خاتمة سورة غافر[٦] ﴿ فَلَمْ

(١) آية (٤٥) .
(٢) آية (٨٣) .
(٣) آية (١٨٢) .
(٤) آية (٨٧، ٨٨) .
(٥) آية (٧٥) .
(٦) آية (٨٥) .

يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ .

٤٠- **ارتياب الكافرين من لقاء ربهم** كما في خاتمة سورة فصلت[١] ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴾ .

٤١- **الصراط المستقيم الذي دعا إليه النبيﷺ هو صراط الله ﷻ الذي له ما في السموات والأرض** كما في خاتمة سورة الشورى[٢] ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ .

٤٢- **أمره ﷺ بالصفح عن أعدائه، ومعاملتهم بالسلم والسلام** كما في خاتمة سورة الزخرف[٣] ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ .

٤٣- **تيسير الله – تعالى – القرآن بلغته ﷺ، وأمره انتظار عذاب الكافرين، وهم – أيضا – منتظرون** كما في خاتمة سورة الدخان[٤] ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴾ .

٤٤- **اختصاصه – سبحانه – بالحمد، وإثبات الربوبية والكبرياء له ﷻ** كما في خاتمة سورة الجاثية[٥] ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

---

(١) آية (٥٤) .
(٢) آيتا (٥٢، ٥٣) .
(٣) آية (٨٩) .
(٤) آيتا (٥٨، ٥٩) .
(٥) آيتا (٣٦، ٣٧) .

٤٥- **أمره ﷺ بالصبر كما صبر أولو العزم من إخوانه المرسلين** كما في خاتمة سورة الأحقاف[١] ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

٤٦- **غنى الله – تعالى – عن خلقه، وافتقارهم – هم – إليه، واستبدالهم بغيرهم – إن تولوا** – كما في خاتمة سورة محمد ﷺ[٢] ﴿ هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ .

٤٧- **نعت النبي ﷺ وبيان سمات أصحابه** رضي الله عنهم كما في خاتمة سورة الفتح[٣] ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

٤٨- **اختصاصه- سبحانه – بعلم الغيب** كما في خاتمة سورة الحجرات[٤] ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

---

(١) آية (٣٥) .
(٢) آية (٣٨) .
(٣) آية (٢٩) .
(٤) آية (١٨) .

٤٩- أمره ﷻ بالتذكير بالقرآن من يخاف وعيده - سبحانه - كما في خاتمة سورة ق[١] ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ .

٥٠- هلاك الكافرين يوم القيامة كما في خاتمة سورة الذاريات[٢] ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ .

٥١- أمره ﷻ بالصبر وتسبيح ربه في كل وقت وحين كما في خاتمة سورة الطور[٣] ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾ .

٥٢- أمر المؤمنين بالسجود والعبادة له - تعالى - كما في خاتمة سورة النجم[٤] ﴿ فَاسْجُدُوا للهِ وَاعْبُدُوا ﴾ .

٥٣- جزاء المتقين عند مليكهم كما في خاتمة سورة القمر[٥] ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ .

٥٤- جلال الله ﷻ وعظمته ﷻ كما في خاتمة سورة الرحمن[٦] ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ .

٥٥- أمره ﷻ بالتسبيح كما في خاتمة سورة الواقعة[١] ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ .

---

(١) آية (٤٥) .
(٢) آية (٦٠) .
(٣) آيتا (٤٨، ٤٩) .
(٤) آية (٦٢) .
(٥) آيتا (٥٤، ٥٥) .
(٦) آية (٧٨) .

٥٦- **الفضل كله بيد الله – تعالى – يؤتيه من يشاء، وهو – وحده – ذو الفضل العظيم** كما في خاتمة سورة الحديد[٢] ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

٥٧- **المؤمنون لا يوالون أعداء الله – ولو كانوا أقرباءهم ...** – كما في خاتمة سورة المجادلة[٣] ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

٥٨- **كل ما في السموات والأرض يسبح لله** ﷻ كما في خاتمة سورة الحشر[٤] ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

٥٩- **نهى المؤمنين عن موالاة غيرهم من الكافرين والمنافقين واليهود ...** كما في خاتمة سورة الممتحنة[٥] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ .

٦٠- **أمر المؤمنين بأن يكونوا أنصارا لله ... وتأييده – تعالى – للمؤمنين على عدوهم** كما في خاتمة سورة الصف[١] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ

---

(١) آية (٩٦) .
(٢) آية (٢٩) .
(٣) آية (٢٢) .
(٤) آية (٢٤) .
(٥) آية (١٣) .

كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ .

٦١- **ما عند الله خير، وهو – سبحانه – خير الرازقين** كما في خاتمة سورة الجمعة[٢] ﴿ قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ .

٦٢- **الموت إذا جاء لا يؤخر** كما في خاتمة سورة المنافقون[٣] ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

٦٣- **علم الله – سبحانه – يشمل الغيب والشهادة وكل شيء** كما في خاتمة سورة التغابن[٤] ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

٦٤- **السموات سبع والأرضون سبع، وما يتنزل بينهما لنعلم قدرة الله وإحاطته بكل شيء** كما في خاتمة سورة الطلاق[٥] ﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ .

٦٥- **مثلان للكافرين، وآخران للمؤمنين** كما في خاتمة سورة التحريم[٦] ﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ *

---

(١) آية (١٤) .
(٢) آية (١١) .
(٣) آية (١١) .
(٤) آية (١٨) .
(٥) آية (١٢) .
(٦) آيات (١٠: ١٢) .

وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آَمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ .

٦٦- **لفت أنظار الكافرين إلى بعض مظاهر قدرته – تعالى** – كما في خاتمة سورة الملك[١] ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ .

٦٧- **القرآن ذكر للعالمين** كما في خاتمة سورة القلم[٢] ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ .

٦٨- **أمره ﷺ بتسبيح ربه** كما في خاتمة سورة الحاقة[٣] ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ .

٦٩- **حال الكافرين وقت بعثهم** كما في خاتمة سورة المعارج[٤] ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ .

---

(١) آيات (٢٨: ٣٠) .
(٢) آية (٥٢) .
(٣) آية (٥٢) .
(٤) آيتا (٤٣: ٤٤) .

٧٠- **دعاء نوح عليه السلام ربه بالمغفرة له ولوالديه ولمن دخل بيته مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ... وهلاك الكافرين** كما في خاتمة سورة نوح[١] ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ .

٧١- **حفظ الله لرسله وإحاطة علمه وإحصاؤه كل شيء** كما في خاتمة سورة الجن[٢] ﴿ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ .

٧٢- **بعض أوامره – تعالى – للمؤمنين وما يترتب عليها** كما في خاتمة سورة المزمل[٣] ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

٧٣- **الله – تعالى – أهل لأن يتقى وأن يغفر** كما في خاتمة سورة المدثر[٤] ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ .

٧٤- **تذكير الإنسان ببعض مراحل خلقه، والاستدلال بذلك على إحياء الله – تعالى – الموتى** كما في خاتمة سورة القيامة[٥] ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ

(١) آية (٢٨) .
(٢) آيتا (٢٧، ٢٨) .
(٣) آية (٢٠) .
(٤) آية (٥٦) .
(٥) آيات (٣٧: ٤٠) .

كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ .

٧٥- **كل شيء في الكون بمشيئة الله – تعالى – فيرحم من يشاء، ويعذب من يشاء** كما في خاتمة سورة الإنسان[١] ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ .

٧٦- **الويل والهلاك للكافرين المجرمين المكذبين** كما في خاتمة سورة المرسلات[٢] ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

٧٧- **إنذار الله – تعالى – البشر في دنياهم، وحسرة الكافرين في أخراهم** كما في خاتمة سورة النبأ[٣]﴿ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ .

٧٨- **قصر الحياة الدنيا ما إن قرنت بالآخرة** كما في خاتمة سورة النازعات[٤] ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ .

٧٩- **أحوال الناس يوم القيامة وتقسيمهم إلى صنفين** كما في خاتمة سورة عبس[٥] ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾

(١) آيتا (٣٠، ٣١) .
(٢) آيتا (٤٩، ٥٠) .
(٣) آية (٤٠) .
(٤) آية (٤٦) .
(٥) آيات (٣٨: ٤٢) .

٨٠- **إثبات المشيئة لله – تعالى** – كما في خاتمة سورة التكوير[١] ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ .

٨١- **نفى ملكية نفس لنفس شيئا يوم القيامة، والأمر فيه لله – تعالى** – كما في خاتمة سورة الانفطار[٢] ﴿ **يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ** ﴾ .

٨٢- **من أحوال المؤمنين والكافرين يوم القيامة** كما في خاتمة سورة المطففين[٣] ﴿ **فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ* عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ .

٨٣- **تعذيب الكافرين، ودوام أجر المؤمنين** كما في خاتمة سورة الانشقاق[٤] ﴿ **فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ** ﴾ .

٨٤- **من سمات القرآن** كما في خاتمة سورة البروج[٥] ﴿ **بَلْ هُوَ قُرْآَنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ** ﴾.

٨٥- **إمهال الله الكافرين** كما في خاتمة سورة الطارق[٦] ﴿ **فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا** ﴾ .

---

(١) آية (٢٩) .
(٢) آية (١٩) .
(٣) آيات (٣٤: ٣٦) .
(٤) آيتا (٢٤، ٢٥) .
(٥) آيتا (٢١، ٢٢) .
(٦) آية (١٧) .

٨٦- **إيثار بعض البشر الدنيا على الآخرة – مع أنها خير وأبقى** – كما في خاتمة سورة الأعلى[١] ﴿ **بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى** ﴾ .

٨٧- **تعذيب الله الكافرين، وبيان أن المآب إليه، والحساب عليه – وحده** – كما في خاتمة سورة الغاشية[٢] ﴿ **إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ * إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ** ﴾ .

٨٨- **النفس المطمئنة وثوابها عند الله** كما في خاتمة سورة الفجر[٣] ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾ .

٨٩- **أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة** كما في خاتمة سورة البلد[٤] ﴿ **ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ** ﴾ .

٩٠- **تكذيب قوم صالح له، وعقاب الله لهم** كما في خاتمة سورة الشمس[٥] ﴿ **كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا** ﴾ .

---

(١) آيات (١٦: ١٩) .
(٢) آيات (٢٣: ٢٦) .
(٣) آيات (٢٧: ٣٠) .
(٤) آيات (١٧: ٢٠) .
(٥) آيات (١١: ١٥) .

٩١- **صفات الأتقى** كما في خاتمة سورة الليل[١] ﴿ **وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى** ﴾ .

٩٢- **من وصايا الله لرسوله ﷺ** كما في خاتمة سورة الضحى[٢] ﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ .

٩٣- **أمره ﷺ بالاجتهاد لربه، والرغبة إليه – سبحانه** – كما في خاتمة سورة الشرح[٣] ﴿ **فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ** ﴾ .

٩٤- **الله – سبحانه – أعدل العادلين** كما في خاتمة سورة التين[٤] ﴿ **أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ** ﴾

٩٥- **نهيه ﷺ عن طاعة الكافر، وأمره بالسجود لربه والاقتراب منه – تعالى** – كما في خاتمة سورة العلق[٥] ﴿ **كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ** ﴾ .

---

(١) آيات (١٧: ٢١) .
(٢) آيات (٩: ١١) .
(٣) آيتا (٧، ٨) .
(٤) آية (٨) .
(٥) آية (١٩) .

٩٦- **ليلة القدر سلام حتى مطلع الفجر** كما في خاتمة سورة القدر[١] ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾

٩٧- **جزاء المؤمنين الذين يعملون الصالحات في الدنيا والآخرة** كما في خاتمة سورة البينة[٢] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ .

٩٨- **مجازاة الإنسان بعمله إن خيرا فخير، وإن شرا فشر** كما في خاتمة سورة الزلزلة[٣] ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

٩٩- **من أحوال يوم القيامة** كما في خاتمة سورة العاديات[٤] ﴿ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ﴾ .

١٠٠- **ثواب من ثقلت موازينه، وجزاء من خفت** كما في خاتمة سورة القارعة[٥] ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾

١٠١- **محاسبة الله للإنسان على ما أنعم به عليه** كما في خاتمة سورة التكاثر[١] ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ .

---

(١) آية (٥) .
(٢) آيتا (٧، ٨) .
(٣) آيتا (٧، ٨) .
(٤) آية (١١) .
(٥) آيات (٦: ١١) .

١٠٢- **صفات المؤمنين الناجين من الخسران** كما في خاتمة سورة العصر[٢] ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ .

١٠٣- **صفات نار الله الموقدة** كما في خاتمة سورة الهمزة[٣] ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾ .

١٠٤- **من مظاهر قدرة الله – تعالى** – كما في خاتمة سورة الفيل[٤] ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ .

١٠٥- **من نعم الله على عباده** كما في خاتمة سورة قريش[٥] ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ .

١٠٦- **جزاء المصلين المقصرين** كما في خاتمة سورة الماعون[٦] ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ . الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ . وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ .

١٠٧- **عدو الرسول هو المقطوع المبتور** كما في خاتمة سورة الكوثر[٧] ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾.

---

(١) آية (٨) .
(٢) آية (٣) .
(٣) آيات (٥: ٩) .
(٤) آية (٥) .
(٥) آيتا (٣، ٤) .
(٦) آيات (٤: ٧) .
(٧) آية (٣) .

١٠٨- للكافرين دينهم، وللرسول ﷺ دينه، كما في خاتمة سورة الكافرون[١] ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ .

١٠٩- **أمره ﷺ بالتسبيح والاستغفار** كما في خاتمة سورة النصر[٢] ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ .

١١٠- **جزاء امرأة أبى لهب** كما في خاتمة سورة المسد[٣] ﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾ .

١١١- **عدم المثيل والشبيه له – تعالى** – كما في خاتمة سورة الإخلاص[٤] ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

١١٢- **أمره ﷺ بالتعوذ بربه من شر حاسد إذا حسد** كما في خاتمة سورة الفلق[٥] ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ .

١١٣- **أمره ﷺ بالتعوذ بربه من شر الوسواس الخناس** كما في خاتمة سورة الناس[٦] ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ .

وبعد أن أتممنا ما ذكره وابتدأه الإمام الزركشى – رحمه الله – لنا عدة وقفات مع هذه الأنواع، وذلك فيما يلي:

---

(١) آية (٦) .
(٢) آية (٣) .
(٣) آيتا (٤، ٥) .
(٤) آية (٤) .
(٥) آية (٥) .
(٦) آيات (٤: ٦) .

الوقفة الأولى: وهى تتعلق بعدد الأنواع التي سبق ذكرها وهى ثلاث عشرة ومائة، ولا يخفى على من له أدنى ارتباط أو علاقة بكتاب الله – تعالى – أن عدد سوره الكريمات أربع عشرة ومائة سورة، فكيف يكون العدد هذا والأنواع ثلاثة عشر فقط ؟

والجواب: أنه لا تباين ولا تعارض ؛ لأننا لو رجعنا إلى النوع العاشر – وهو مما ذكره الإمام الزركشى – لوجدنا أنه يشمل خاتمة سورتين هما يونس وهود – عليهما السلام –، ونص هذا النوع هو: (تسليته ﷺ التي ختمت بها سورة يونس، ومثلها خاتمة سورة هود) .

ومعلوم أنه لا علاقة بين عدد السور القرآنية والأنواع التي نحن بصدد بيانها وتجليتها ؛ لأن بعض السور قد تتفق خواتيمها فتندرج تحت نوع واحد، ومن هنا يقل عدد الأنواع، ويبقى عدد السور كما هو، وما النوع العاشر إلا مثال لهذا الاتفاق والاندراج .

وقد نوهنا إلى ذلك ؛ لإزالة اللبس المتوهم بين العدد الذي ذكرناه من الأنواع وبين عدد سور القرآن الكريم، ولأن الأمانة العلمية تقتضى ذلك – نسال الله أن نكون من أهلها –

الوقفة الثانية: وهى مترتبة على سابقتها ؛ حيث تتعلق بالأنواع التي ختمت بها السور القرآنية – وليس بأعدادها – وهى – كما ذكرنا – ثلاثة عشر ومائة نوعا، ولو تأملنا فيها – قليلا – لأمكننا أن نحصرها في أنواع قليلة ؛ حيث تتفق – كما أومأنا – خواتيم بعض السور في نوع واحد فتندرج تحته، وقد نوه الإمام الزركشى إلى ذلك فقال إنها: (بين أدعية ووصايا وفرائض ومواعظ وتحميد وتهليل ووعد ووعيد إلى غير ذلك)[1] .

(١) البرهان ١ / ١٨٢ .

وقوله: (إلى غير ذلك) يدل على أن ثمة أنواعا أخر لم يذكرها هو ؛ لأنه لم يستقص خواتيم جميع السور، وإنما ذكر خواتيم سبع عشرة سورة فقط من باب التمثيل لهذا الفن الجليل .

ولذا فإننا في هذه الوقفة نود أن نجمع كل خواتيم السور المتفقة في نوع ما تحت هذا النوع، وننتهي إلى أن خواتيم السور محصورة في عدد معين، وليس بهذه الكثرة الهائلة التي يصعب على الإنسان استقصاؤها أو استيعابها مما يشتت ذهنه، ويشوش فكره، ولا غرابة في ذلك فقد حصر علماؤنا علم الفواتح في عشرة أنواع فقط، لا يخرج عنها نوع واحد منها[1] .

وبالرجوع إلى الأنواع السابقة لخواتيم السور الكريمة نلفى أنها تنحصر في عشرة أنواع فقط، وذلك فيما يلي:

النوع الأول: التفصيل والتوضيح لما سبق إجماله، وذلك في سورة: الفاتحة .

النوع الثاني: الأدعية سواء أكان دعاء نبي من الأنبياء، أو جماعة من المؤمنين، كما في خواتيم سور: الأنبياء، المؤمنون، نوح، البقرة .

النوع الثالث: الوصايا أو الأوامر والنواهي أو التسلية له ﷺ ولكل مؤمن من بعده، وذلك في خواتيم سور: آل عمران، يونس، هود، الحجر، النحل، الكهف، الحج، القصص، الروم، السجدة، الزخرف، الأحقاف، ق، الطور، النجم، الواقعة، الممتحنة، الصف، الحاقة، المزمل، الضحى، الشرح، العلق، النصر، الفلق، الناس .

النوع الرابع: الفرائض والأحكام، كما في خاتمة سورة: النساء .

النوع الخامس: تعظيم الله ﷻ والثناء عليه – سبحانه – بأساليب متعددة كالتسبيح والتحميد ...، وذلك في خواتيم سور: المائدة، الأعراف، الأنفال، الإسراء، النور، النمل، لقمان، يس، الصافات، الزمر، الجاثية، محمد ﷺ،

(١) راجع: البرهان ١ / ١٦٤، الإتقان ٣ / ٩٦٥ .

الحجرات، الرحمن، الحديد، الحشر، الجمعة، التغابن، الطلاق، الجن، المدثر، القيامة، التكوير، الانفطار، التين، الفيل، قريش، الإخلاص .

النوع السادس: الوصف والمدح سواء أكان وصفا أو مدحا لنبي من الأنبياء، أو صحابته ﷺ أو بعضهم، أو أحدا من المؤمنين، أو جماعة منهم، أو للقرآن الكريم، أو لنار جهنم – أعاذنا الله منها –، وذلك في خواتيم سور: براءة، يوسف، إبراهيم، الفرقان، ص، الشورى، الدخان، الفتح، المجادلة، القلم، البروج، الليل، الهمزة .

النوع السابع: الوعد والوعيد، كما في خاتمة سورتي: الأنعام، الأحزاب .

النوع الثامن: الرد على من كذب الرسول ﷺ والتهديد والإهلاك، وذلك في خواتيم سور: الرعد، مريم، طه، الملك، الشمس، الماعون .

النوع التاسع: بعض أصناف البشر كالمؤمنين والمتقين والمحسنين والكافرين والظالمين، وذلك في خواتيم سور: العنكبوت، الشعراء، سبأ، فصلت، الذاريات، القمر، التحريم، المعارج، الإنسان، المرسلات، عبس، المطففين، الانشقاق، الطارق، الغاشية، البلد، البينة، القارعة، الكوثر، الكافرون، النصر، المسد .

النوع العاشر: سنة الله عامة في الدنيا والآخرة، وذلك في خواتيم سور: غافر، فاطر، المنافقون، النبأ، النازعات، الأعلى، الفجر، القدر، الزلزلة، العاديات، التكاثر .

الوقفة الثالثة: وهى – أيضا مترتبة على سابقتها – أن حصرنا لخواتيم السور القرآنية في عشرة أنواع – فقط – ليس أمرا قائما على التشدد أو التضييق لما هو موسع، وإنما الغرض منه استيعاب القارئ لهذه الأنواع وفهمها فهما دقيقا يتناسب وآي الذكر الحكيم – في حدود الطاقة البشرية – لاسيما وأن كثيرا من السور الكريمة تتفق في خواتيمهما مما يجعلها تندرج – أو يمكن إدراجها – تحت نوع واحد من أنواع الخواتيم، وهذا مما لا يرتاب فيه من عايش التنزيل الجليل كله بدقة، ولازمه زمانا وتدبره طويلا، وخواتيمه – على وجه التحديد والخصوص – .

وإذا كان الحصر – لأغراض عديدة وغايات شتى – جائزا ومستساغا في كلام البشر أو خطبهم أو مقالاتهم أو مصنفاتهم ... أو غير ذلك، فمن باب أولى يكون جائزا فيما يتعلق بخدمة كتاب الله ﷻ وهو أعظم كلام وأسمى كتاب ...

كما أن هذا الحصر لهذه الخواتيم في الأنواع العشرة يتفق – أيضا – مع حصر العلماء الأجلاء لعلم فواتح السور في نفس العدد، وفى ذلك ما فيه – وهو أمر لم نقصده ولم نتعمده، ولكنه توفيق الله ومنه وكرمه – من الإعجاز لكل من فواتح السور وخواتيمها، هذا – فضلا – عما يشتملان عليه من حكم عديدة وأسرار شتى ... قد نقف على بعضها – وهذا من فضل الله تعالى – وتبقى أخرى – وهى أكثر وأكثر – لا يعلمها إلا الله ﷻ، وصدق – سبحانه – إذ يقول: ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[1]، وصدق – أيضا –:﴿ **قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً** ﴾[2] .

ولله در ابن أبى الإصبع – رحمه الله – حين أومأ إلى ما اشتملت عليه خواتم السور الجليلة فقال – بعد أن ذكرها إجمالا–: (هذه خواتم السور الفرقانية على الإجمال، ولو ذهبت إلى ذكر تفاصيل ما انطوت عليه من المحاسن والفنون، وما يبرهن عن تمكينها ورشاقة مقاطعها وانتهاء البلاغة إلى كل مقطع منها لاحتجت في ذلك إلى تدوين كتاب بذاته، وإلحاق ذلك بهذا الكتاب[3] مما يطيله ويعظم نقله على من يريد تقييده) [4] .

---

(١) لقمان / ٢٧ .
(٢) الكهف / ١٠٩ .
(٣) يعنى كتابه بديع القرآن .
(٤) بديع القرآن لابن أبى الإصبع ص ٣٥٣ .

الوقفة الرابعة: أن البعض قد يوافقنا على كل ما ذهبنا إليه في أنواع الخواتم وحصرها، وقد يخالفنا آخرون، وهذه سنة الله في خلقه ﴿ **وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً** ﴾[1]، ﴿ **وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلاً** ﴾[2]

ولن تسرنا هذه الموافقة، كما لن تحزننا تلكم المخالفة، قال – تعالى –: ﴿ **وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا** ﴾[3] ؛ لأن مقصدنا من ذلك جلى وواضح، وهو التأمل والتفكر والتدبر قدر الاستطاعة في هذه الخواتيم المباركة ؛ وذلك لإبراز ما فيها من لآليء وحكم وأسرار ... وتجلية ما تنطوي عليه من درر ودقائق ولطائف ...

وهو غرض نبيل، ومقصد جليل سيستبين أكثر وأكثر – بمشيئة الله تعالى – في النماذج التي سنعرض لها في الصفحات التالية، فإلى ذلك – والله تعالى الموفق والمستعان – .

(١) الأحزاب / ٦٢ .
(٢) فاطر / ٤٣ .
(٣) البقرة / ١٤٨ .

المبحث الثاني

نماذج تطبيقية

ورد في الأمثال: " ليس الخبر كالمعاينة "[١]، وجاء – أيضا – " ليس من رأى كمن سمعا " .

ومعنى هذا: أن الذي يعلم خبرا أو يسمع كلاما ليس مثل الذي يعاينه ويدركه، فيسكن قلبه، وتطمئن نفسه ...

وقد صدق القرآن الكريم هذا المعنى وقرره على لسان الخليل عليه السلام، وذلك في قوله – تعالى –: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُـلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾[٢] .

قال الإمام الألوسى – رحمه الله – في سبب سؤال الخليل عليه السلام ربه: (وإنما سأله عليه السلام لينتقل من مرتبة علم اليقين إلى عين اليقين، وفي الخبر " ليس الخبر كالمعاينة ")[٣] .

ونحن نريد – أيضا من باب المجاز – أن ننتقل من علم اليقين الذي أخبرنا به – سابقا – إلى عين اليقين ورؤية ما في النماذج التي سنعرض لها – بإذن الله – من الدقائق واللطائف ... التي أشرنا إليها من قبل، والتي هي غرضنا ومقصودنا من هذا البحث، فنزداد يقينا فوق يقين من إحكام القرآن الكريم وحكمه، وأسراره وإعجازه ...

---

(١) مجمع الأمثال للميدان ٢ / ١٨٢ (٣٢٧٠) .

(٢) البقرة / ٢٦٠ .

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسى ٣ / ٢٦ .

وعلى هذا فمغزى الآية الكريمة والمثلين واحد، وهو أن الواقع – معاينة أو رؤيا – خير دليل وأعظم برهان على طمأنينة القلب، ويقين النفس ... وهذه قاعدة عامة في جميع الأمور والأحوال لا يخلو عنها زمان أو مكان ...

وفيما يتعلق بموضوعنا – الخواتم – آن الأوان لكي نرى حكمه وأسراره، ونظفر بدرره ولآلئه، وقد هدانا الله – تعالى – لاختيار نماذج ثلاثة من خواتم السور تكون محلا للتطبيق وتجلية ما فيها من أسرار ودقائق وأنوار ... من وجهة نظرنا – وهى قصيرة الباع، قليلة الاطلاع – ﴿ **وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِّ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** ﴾[1] .

وهذه النماذج هي خواتم السور الثلاثة الأولى من التنزيل العزيز، وهى: خاتمة سورة الفاتحة، وخاتمة سورة البقرة، وخاتمة سورة آل عمران .

ونود أن نلفت النظر إلى أن الغرض من سوق هذه النماذج ومعايشة أسرار خواتمها هو أن تكون مثالا لمن يروم سبر أغوار سائر خواتم السور الجليلة يحتذى به ويقاس عليه، ونموذجا يهدينا إلى إدراك هذه الأسرار، ويشوقنا إلى معرفة ما انطوت عليه هذه الخواتم الكريمة من هداية وإعجاز وأنوار ...

وهاك بيان النماذج الثلاثة وتجليتها – والله تعالى المستعان، ومنه العون، وعليه وحده التكلان –

(١) هود / ٨٨ .

النموذج الأول: خاتمة سورة الفاتحة[١] .

وهو قوله – تعالى –: ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ** ﴾ .

وللختام به في السورة الجليلة حكم شتى، وأسرار عديدة، نجليها أو بعضها – بتوفيق الله وعونه – فيما يلى:

أولا: تفصيل جملة المطلوب وتوضيحه – كما ذكر الإمامان الزركشى والسيوطي – والمطلوب هو دعاء المؤمنين عامة، والمصلين خاصة ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ** ﴾ وتوضيحه وبيانه هو قوله ﷻ: ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ** ﴾ وقد علا – رحمهما الله – لذلك فقالا: (إذ المطلوب الأعلى الإيمان المحفوظ من المعاصي المسببة لغضب الله والضلال، ففصل جملة ذلك بقوله:﴿ **الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ** ﴾[٢] والمراد المؤمنون ؛ ولذلك أطلق الإنعام ولم يقيده ؛ ليتناول كل إنعام ؛ لأن من أنعم الله عليه بنعمة الإيمان فقد أنعم الله عليه بكل نعمة ؛ لأن نعمة الإيمان مستتبعة لجميع النعم، ثم وصفهم بقوله: ﴿ **غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ** ﴾[٣] يعني أنهم جمعوا بين النعم المطلقة وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله والضلال المسببين عن معاصيه، وتعدى حدوده)[٤] .

---

(١) آيتا (٦، ٧) .
(٢)، (٣) الفاتحة / ٧ .
(4) البرهان ١ / ١٨٢، الإتقان ٤ / ٩٦٩ .

ثانيا: أن هذا الختام – وهو الدعاء – جمع كل مطلوب الإنسان ومراده من ربه ﷻ .

وفى ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (وأما سؤال من يقول : فقد هداهم فلا حاجة بهم إلى السؤال، وجواب من أجابه : بأن المطلوب دوامها كلام من لم يعرف حقيقة الأسباب، وما أمر الله به ؛ فإن ﴿ **الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ أن يفعل العبد في كل وقت ما أمر به في ذلك الوقت من علم وعمل، ولا يفعل ما نهى عنه، وهذا يحتاج في كل وقت إلى أن يعلم ويعمل ما أمر به في ذلك الوقت وما نهى عنه، وإلى أن يحصل له إرادة جازمة لفعل المأمور، وكراهة جازمة لترك المحظور، فهذا العلم المفصل والإرادة المفصلة لا يتصور أن تحصل للعبد في وقت واحد، بل كل وقت يحتاج إلى أن يجعل الله في قلبه من العلوم والإرادات ما يهتدي به في ذلك الصراط المستقيم، نعم حصل له هدى مجمل بأن القرآن حق، والرسول حق، ودين الإسلام حق، وذلك حق، ولكن هذا المجمل لا يغنيه إن لم يحصل له هدى مفصل في كل ما يأتيه ويذره من الجزئيات التي يحار فيها أكثر عقول الخلق، ويغلب الهوى والشهوات أكثر عقولهم لغلبة الشهوات والشبهات عليهم ، والإنسان خلق ظلوما جهولا، فالأصل فيه عدم العلم وميله إلى ما يهواه من الشر، فيحتاج دائماً إلى علم مفصل يزول به جهله، وعدل في محبته وبغضه ورضاه وغضبه وفعله وتركه وإعطائه ومنعه وأكله وشربه ونومه ويقظته، فكل ما يقوله ويعمله يحتاج فيه إلى علم ينافى جهله، وعدل ينافى ظلمه، فإن لم يمن الله عليه بالعلم المفصل والعدل المفصل وإلا كان فيه من الجهل والظلم ما يخرج به عن الصراط المستقيم، وقد قال – تعالى – لنبيه ﷺ بعد صلح الحديبية وبيعة الرضوانِ : ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا** ﴾ إلى قوله – تعالى – : ﴿ **وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا** ﴾[1] فإذا كان هذا حاله في آخر حياته أو قريباً منها فكيف حال غيره ؟

(١) الفتح / ١، ٢ .

و﴿ الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ ﴾ قد فسر بالقرآن وبالإسلام وطريق العبودية، وكل هذا حق، فهو موصوف بهذا وبغيره، فالقرآن مشتمل على مهمات وأمور دقيقة، ونواهٍ وأخبار وقصص وغير ذلك، إن لم يهد الله العبد إليها فهو جاهل بها ضال عنها، وكذلك الإسلام وما اشتمل عليه من المكارم والطاعات والخصال المحمودة، وكذلك العبادة وما اشتملت عليه، فحاجة العبد إلى سؤال هذه الهداية ضرورية في سعادته ونجاته وفلاحه، بخلاف حاجته إلى الرزق والنصر فإن الله يرزقه، فإذا انقطع رزقه مات، والموت لابد منه، فإذا كان من أهل الهدى به كان سعيداً قبل الموت وبعده، وكان الموت موصلا إلى السعادة الأبدية، وكذلك النصر إذا قدر أنه غلب حتى قتل فإنه يموت شهيداً، وكان القتل من تمام النعمة، فتبين أن الحاجة إلى الهدى أعظم من الحاجة إلى النصر والرزق، بل لا نسبة بينهما ؛ لأنه إذا هدي كان من المتقين ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللهَّ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[1] وكان ممن ينصر الله ورسوله، ومن نصر الله نصره الله، وكان من جند الله، وهم الغالبون ؛ ولهذا كان هذا الدعاء هو المفروض، و– أيضاً – فإنه يتضمن الرزق والنصر ؛ لأنه إذا هدى، ثم أمر وهدى غيره بقوله وفعله ورؤيته، فالهدى التام أعظم ما يحصل به الرزق والنصر، فتبين أن هذا الدعاء جامع لكل مطلوب، وهذا مما يبين لك أن غير الفاتحة لا يقوم مقامها وأن فضلها على غيرها من الكلام أعظم من فضل الركوع والسجود على سائر أفعال الخضوع، فإذا تعينت الأفعال فهذا القول أولى، والله أعلم)[2] .

ولذا فإن هذا الختام يعد حظ الطالبين – خاصة – من ربهم لما ينفعهم في عاجلهم وآجلهم، وعليه يتنزل مما قبله منزلة المقصد من الديباجة، أو الموضوع

(١) الطلاق / ٢، ٣ .
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٤ / ٣٧ .

من الخطبة، أو التخلص من القصيدة، أو المطلوب والمراد ... ولاختلاف الجمل المتقدمة عنه بالخبرية والإنشائية فصل عنها(١) .

ثالثا: أن كل إنسان مضطر ومفتقر إلى المقصود من هذا الدعاء، وهو الهداية إلى الصراط المستقيم .

وهذا مترتب على ما قبله فإذا كان هذا الختام قد جمع في طياته كل مطلوب الإنسان من خالقه ﷻ فكل إنسان – حينئذ – مفتقر ومضطر إليه ؛ لأن سعادته فيه، ونجاته منوطة به ...

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (والعبد مضطر دائماً إلى أن يهديه الله الصراط المستقيم، فهو مضطر إلى مقصود هذا الدعاء ؛ فإنه لا نجاة من العذاب ولا وصول إلى السعادة إلا بهذه الهداية، فمن فاته فهو إما من المغضوب عليهم، وإما من الضالين، وهذا الهدى لا يحصل إلا بهدى الله)(٢) .

وقد بين الله ﷻ هذا الصراط المستقيم بقوله: ﴿ **صِرَاطَ الذين أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المغضوب عَلَيْهِم وَلاَ الضآلين** ﴾ .

رابعا: أن هذا الختام له علاقة وطيدة بسائر سور القرآن الكريم، وهى أنها – أي السور الثلاث عشرة ومائة – تفصيل وتوضيح وتبيان لما أجمله هذا الختام .

قال الإمام البقاعى – رحمه الله –: (وقال – أي الحرالى – في تفسير الفاتحة: وكانت سورة الفاتحة أمّاً للقرآن ؛ لأن القرآن جميعه مفصل من مجملها، فالآيات الثلاث الأول شاملة لكل معنى تضمنته الأسماء الحسنى والصفات العلى، فكل ما في القرآن من ذلك فهو مفصل من جوامعها، والآيات الثلاث الأخر من قوله: ﴿

(١) راجع في ذلك: التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ١ / ١٨٧ .
(٢) مجموع الفتاوى ١٤ / ٣٧، و– أيضا – البحر المحيط ١ / ٣٠ .

اهدِنَا ﴾ شاملة لكل ما يحيط بأمر الخلق في الوصول إلى الله والتحيز إلى رحمة الله والانقطاع دون ذلك، فكل ما في القرآن منه فمن تفصيل جوامع هذه)[1] .

خامسا: أن هذا الختام يعد تطبيقا عمليا ؛ حيث يدعو الإنسان ربه أن يهديه الصراط المستقيم، وثمرة من ثمرات الاعتقاد التي غرستها فى قلبه ولبه صفات الله– تعالى– التي استهلت بها السورة الكريمة من الألوهية والربوبية والحمد والملك والرحمة، وإفراده بالعبادة والاستعانة وقصرهما عليه – وحده – دون سواه .

وهذا ما قرره الشهيد سيد قطب – رحمه الله – حين قال: (وبعد تقرير تلك الكليات الأساسية في التصور الإسلامي، وتقرير الاتجاه إلى الله وحده بالعبادة والاستعانة .. يبدأ في التطبيق العملي لها بالتوجه إلى الله بالدعاء على صورة كلية تناسب جو السورة وطبيعتها: ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ الْمَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ** ﴾ ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ** ﴾ وفقنا إلى معرفة الطريق المستقيم الواصل، ووفقنا للاستقامة عليه بعد معرفته .. فالمعرفة والاستقامة كلتاهما ثمرة لهداية الله ورعايته ورحمته، والتوجه إلى الله في هذا الأمر هو ثمرة الاعتقاد بأنه وحده المعين، وهذا الأمر هو أعظم وأول ما يطلب المؤمن من ربه العون فيه .

فالهداية إلى الطريق المستقيم هي ضمان السعادة في الدنيا والآخرة عن يقين .. وهي في حقيقتها هداية فطرة الإنسان إلى ناموس الله الذي ينسق بين حركة الإنسان وحركة الوجود كله في الاتجاه إلى الله رب العالمين .

ويكشف عن طبيعة هذا الصراط المستقيم: ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ الْمَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ** ﴾ فهو طريق الذين قسم لهم نعمته، لا طريق الذين

(١) نظم الدرر للبقاعى ١ / ٥٢، و– أيضا – تفسير القطان ١ / ٣ .

غضب عليهم لمعرفتهم الحق ثم حيدتهم عنه، أو الذين ضلوا عن الحق فلم يهتدوا أصلاً إليه .. إنه صراط السعداء المهتدين الواصلين)[1] .

سادسا: أن لهذا الختام علاقة وطيدة وآصرة قوية بما قبله، وهو قوله ﷻ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

وقد جلى كثير من المفسرين ذلك، قال الإمام البقاعى – رحمه الله – مشيرا إلى قوله ﷻ: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ** ﴾: (وجاءت هذه الآيات على لسان خلقه فكان ظاهرها التزام عُهَد العبادة، وهو ما يرجع إلى العبد، وعمادها طلب المعونة من الله – سبحانه – وهو ما يرجع إلى الحق، فكانت بينه وبين عبده، وتقدمت بينيّته – تعالى – ؛ لأن المعونة متقدمة على العبادة وواقعة بها، وهو مجاب فيما طلب من المعونة، فمن كانت عليه مؤنة شيء فاستعان الله فيها على مقتضى هذه الآية جاءته المعونة على قدر مؤنته، فلا يقع لمن اعتمد مقتضى هذه الآية عجز عن مرام – أبداً – وإنما يقع العجز ببخس الحظ من الله – تعالى – والجهل بمقتضى ما أحكمته هذه الآية والغفلة عن النعمة بها، وفي قوله: ﴿ نَعْبُدُ ﴾ بنون الاستتباع إشعار بأن الصلاة بنيت على الاجتماع ...

وفي الآية ندب إلى اعتقاد العجز واستشعار الافتقار والاعتصام بحوله وقوته، فاقتضى ذلك توجيه الرغبات إليه بالسؤال فقال: ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ** ﴾ تلقيناً لأهل لطفه وتنبيهاً على محل السلوك الذي لا وصول بدونه)[2] .

وقال العلامة الفخر – رحمه الله –: (ولما تم الوفاء بعهد الربوبية وبعهد العبودية ترتب عليه طلب الفائدة والثمرة وهو قوله: ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ** ﴾

(١) في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب ١ / ٢٦ .
(٢) نظم الدرر ١ / ٣٦ .

وهذا ترتيب شريف رفيع عال ؛ يمتنع في العقول حصول ترتيب آخر أشرف منه)[١] .

سابعا: كما أن هذا الختام يتضمن بعضا من صفات العبد، وبالتالي فإن له علاقة وثيقة – أيضا – بمستهل السورة الكريمة الذي يشتمل على بعض من صفات الله – تعالى –

وقد بين ذلك العلامة الفخر – رحمه الله – إبان تبيانه لفوائد الأسماء الخمسة المذكورة فيها – وهى: الله، الرب، الرحمن، الرحيم، المالك – إذ يقول: (إن سورة الفاتحة فيها عشرة أشياء، منها خمسة من صفة الربوبية، وهي: الله والرب والرحمن والرحيم والمالك، وخمسة أشياء من صفات العبد، وهي: العبودية والاستعانة وطلب الهداية وطلب الاستقامة وطلب النعمة كما قال: ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ** ﴾ فانطبقت تلك الأسماء الخمسة على هذه الأحوال الخمسة فكأنه قيل: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ** ﴾ ؛ لأنك أنت الله، ﴿ **وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ ؛ لأنك أنت الرب ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ** ﴾ ؛ لأنك أنت الرحمن، وارزقنا الاستقامة ؛ لأنك أنت الرحيم ؛ وأفض علينا سجال نعمك وكرمك ؛ لأنك ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾)[٢] .

وفى تفسير ابن كثير[٣] (لما تقدم الثناء على المسئول – تبارك وتعالى – ناسب أن يعقب بالسؤال كما قال: " فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل "[٤] وهذا أكمل أحوال السائل أن يمدح مسئوله، ثم يسأل حاجته – وحاجة إخوانه

(١) مفاتيح الغيب للرازي ١ / ٢٥٢ .
(٢) مفاتيح الغيب ١ / ٢٨٥ .
(٣) ١ / 136 .
(٤) جزء من حديث سيأتي تخريجه ص ٤٢ .

المؤمنين – بقوله: ﴿ اهدِنَا ﴾ ؛ لأنه أنجح للحاجة وأنجع للإجابة، ولهذا أرشد الله – تعالى – إليه ؛ لأنه الأكمل) .

ثامنا: أن في هذا الختام إعجازا ما بعده إعجاز .

إذ يتعلق بنظم الآيات الكريمات، وترتيب السورة الجليلة، ولو قدم فيه أو أخر، أو قدم هو لأدى إلى إخلال بالنظم والترتيب، وهذا ما لم – ولن – يحدث في التنزيل العزيز على الإطلاق ؛ لقوله ﷻ: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [1] .

قال الإمام البقاعى – رحمه الله –: (وقد انعطف المنتهى على المبتدأ بمراقبة القسم الأول اسم الله فحازوا ثمرة الرحمة، وخالف هذان القسمان فكانوا من حزب الشيطان فأخذتهم النقمة، وعلم أن نظم القرآن على ما هو عليه معجز، ومن ثم اشتراط في الفاتحة في الصلاة لكونها واجبة في الترتيب، فلو قدم فيها أو أخر لم تصح الصلاة وكذا لو أدرج فيها ما ليس منها للإخلال بالنظم .

قال الأصبهاني: فإن القرآن معجز، والركن الأبين الإعجاز يتعلق بالنظم والترتيب)[2] .

تاسعا: كما أن هذا الختام يرتبط بما بعده – وهو مستهل سورة البقرة – ارتباطا وثيقا .

وقد جسد ذلك بعض المفسرين ، قال الإمام السيوطي – رحمه الله –: إن (افتتاح سورة البقرة بقوله: ﴿ **آلَمَ * ذَلِكَ الْكِتَابُ** ﴾ إشارة إلى الصراط في قوله: ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ** ﴾ كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط قيل لهم: ذلك

(١) الحجر / ٩ .
(٢) نظم الدرر ١ / ٤٢ .

الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب، وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة)[١]

عاشرا: وأن لهذا الختام تناسبه الدقيق وارتباطه الوثيق – أيضا – بخواتيم سورة البقرة،

وهذا التناسب يتجلى في موطنين:

أولهما: تفسير الكتاب في قوله – تعالى – في أواخر سورة البقرة[٢]: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ بالصراط المستقيم على قول البعض .

جاء في نظم الدرر[٣] (وقال ابن الزبير: ولما بين ﷻ أن الكتاب هو الصراط المستقيم ذكر افتراق الأمم كما يشاء وأحوال الزائغين والمتنكبين تحذيراً من حالهم ونهياً عن مرتكبهم وحصل قبيل النزول بجملته وانحصار التاركين، وأعقب بذكر ملتزمات المتقين وما ينبغي لهم امتثاله والأخذ به من الأوامر والأحكام والحدود، وأعقب ذلك بأن المرء يجب أن ينطوي على ذلك ويسلم الأمر لمالكه فقال ﷻ: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ** ﴾) .

وثانيهما: قول الإمام البقاعى – رحمه الله – وهو بصدد إبراز التناسب بين خواتيم سورة البقرة: (فحصل من هذه السورة بأسرها بيان الصراط المستقيم على الاستيفاء والكمال أخذاً وتركاً وبيان شرف من أخذ به وسوء حال من تنكب عنه، وكان العباد لما علموا ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ** ﴾ إلى آخر السورة قيل لهم: عليكم بالكتاب إجابة لسؤالهم، ثم بين لهم حال من سلك ما طلبوا فكان قيل لهم: أهل

(١) الإتقان ٤ / ٩٨١، روح المعاني ١ / ١٠٥ .
(٢) آية (٢٨٥) .
(٣) ١ / ١٧٣ .

الصراط المستقيم وسالكوه هم الذين بيّن شأنهم وأمرهم، والمغضوب عليهم من المتنكبين هم اليهود الذين بين أمرهم وشأنهم، والضالون هم النصارى الذين بيّن أمرهم وشأنهم، فيجب على من رغب في سلوك الصراط المستقيم أن يحذر ما أصاب هؤلاء مما نبه عليه، وأن يأخذ نفسه بكذا وكذا، وأن ينسحب إيمانه على كل ذلك، وأن يسلم الأمر لله الذي تطلب منه الهداية، ويتضرع إليه بألا يؤاخذه بما يثمره الخطأ والنسيان، وأن لا يحمله ما ليس في وسعه، وأن يعفو عنه ... إلى آخر السورة)[1] .

حادي عشر: أن في هذا الختام فوائد عديدة .

جلاها الإمام ابن قيم – رحمه الله – بقوله: (إن الآية في معرض التعليم للعباد والدعاء، وحق الداعي أن يستشعر عند دعائها ما يجب عليه اعتقاده مما لا يتم الإيمان إلا به ؛ إذ الدعاء مخ العبادة ، والمخ لا يكون إلا في عظم، والعظم في لحم ودم، فإذا وجب إحضار معتقدات الإيمان عند الدعاء وجب أن يكون الطلب ممزوجا بالثناء، فمن ثم جاء لفظ الطلب للهداية والرغبة فيها مشوبا بالخير تصريحا من الداعي بمعتقده وتوسلا منه بذلك الاعتقاد الصحيح إلى ربه فكأنه متوسل إليه بإيمانه واعتقاده أن صراط الحق هو الصراط المستقيم وأنه صراط الذين اختصهم بنعمته وحباهم بكرامته، فإذا قال: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ والمخالفون للحق يزعمون أنهم على الصراط المستقيم – أيضا – والداعي يجب عليهم اعتقاد خلافهم وإظهار الحق الذي في نفسه، فلذلك أبدل وبين لهم ليمرن اللسان على ما اعتقده الجنان .

ففي ضمن هذا الدعاء المهم الإخبار بفائدتين جليلتين: إحداهما: فائدة الخبر، والفائدة الثانية: فائدة لازم الخبر، فأما فائدة الخبر فهي الإخبار عنه بالاستقامة وأنه الصراط المستقيم الذي نصبه لأهل نعمته وكرامته، وأما فائدة لازم الخبر

(١) نظم الدرر ١ / ١٧٤ .

فإقرار الداعي بذلك وتصديقه وتوسله بهذا الإقرار إلى ربه فهذه أربع فوائد: الدعاء بالهداية إليه، والخبر عنه بذلك، والإقرار والتصديق لشأنه، والتوسل إلى المدعو إليه بهذا التصديق، وفيه فائدة خامسة وهي أن الداعي إنما أمر بذلك لحاجته إليه، وأن سعادته وفلاحه لا تتم إلا به، فهو مأمور بتدبير ما يطلب وتصور معناه، فذكر له من أوصافه ما إذا تصور في خلده وقام بقلبه كان أشد طلبا له وأعظم رغبة فيه وأحرص على دوام الطلب والسؤال له، فتأمل هذه النكت البديعة)[1] .

ثاني عشر: أن هذا الختام مما قسمه الله – تعالى – لعبده، وكلما قاله – أو سأل ربه إياه – أجابه .

روى الإمام مسلم في صحيحه[2] بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: " من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثا غير تمام " فقيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام، فقال: اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله – تعالى –: " قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد: ﴿ **الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ قال الله – تعالى –: " حمدني عبدي "، وإذا قال: ﴿ **الرَّحْمَـنِ الـرَّحِيمِ** ﴾ قال الله – تعالى –: " أثنى علي عبدي "، وإذا قال: ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ قال: " مجدني عبدي "، وقال مرة: " فوض إلي عبدي "، فإذا قال: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ قال: " هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل " فإذا قال: ﴿ **اهـدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ . صِرَاطَ الَّـذِينَ أَنعَمـتَ عَلَـيهِمْ غَـيرِ الْمَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ** ﴾ قال: "هذا لعبدي ولعبدي ما سأل ".

(١) بدائع الفوائد ٢ / ٢٥٠ .
(٢) ك الصلاة باب صفة الأذان ١ / ٢٩٦ (٣٩٥) .

وقد يقول قائل: إن هذا الحديث يدل على أن الصلاة من أسماء سورة الفاتحة، وعلى فضل السورة ؛ حيث قسمها الله – تعالى – بينه وبين عبده، وعلى هذا فأين دلالة الحديث على سر هذا الختام ؟

والجواب: أن هذا الختام لو لم يكن في موضعه هذا الذي هو فيه لما كان النصفَ الذي أعطاه الله – تعالى – لعبده، ولما أجاب الله – سبحانه – العبد كلما سأله إياه، ولا يخفى أن دعاء الإنسان ربه في القرآن كثير لا يحصى – ولا سميا في خواتم السور – ولم يحظ واحد منها بما حظي به هذا الختام، فدل هذا على أن ما اختص به في الحديث الشريف يعد سرا من أسراره، ودقيقة من دقائقه ...

ويقاس على هذا كل ما ورد في فضل السورة الكريمة، فهو سر من أسرارها، ولطيفة من لطائفها ... وهكذا تتجلى لنا بعض الحكم والأسرار التي من أجلها – وغيرها كثير – ختم الله – تعالى – سورة الفاتحة بهذا الختام الجليل .

النموذج الثاني: خاتمة سورة البقرة[1] .

وهو قوله – تعالى –: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

وفى الختام بهاتين الآيتين الجليلتين أسرار وحكم ودقائق عديدة نجليها – أو بعضها – بعون الله – تعالى – فيما يلي:

(١) آيتا (٢٨٥، ٢٨٦) .

أولا: أن هذا الختام الذي ختمت به السورة والاستهلال الذي استهلت به يتناسبان تمام التناسب ويرتبطان أشد الارتباط .

وذلك أن المؤمنين الذين آمنوا بما أنزل على الرسول ﷺ والذين قالوا سمعنا وأطعنا هم أنفسهم المتقون الذين وصفوا في أول السورة بصفات عدة، وهى قوله ﷻ: ﴿ الَم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[1]، فالمؤمنون في الختام والمتقون في البدء هم – جميعا – أمة محمد ﷺ .

قال العلامة أبو حيان – رحمه الله –: (ولما كان مفتتح هذه السورة بذكر الكتاب المنزل، وأنه هدى للمتقين الموصوفين بما وصفوا به من الإيمان بالغيب، وبما أنزل إلى الرسول وإلى من قبله، كان مختتمها – أيضاً – موافقاً لمفتتحها ... فبين – تعالى – في آخر هذه السورة أن أولئك المؤمنين هم أمة محمد ﷺ)[2] .

وتوسع العلامة الفخر – رحمه الله – في إبراز هذا التناسب وتجليته فقال – فى الوجه الثالث في كيفية النظم –: (إنه – تعالى – بدأ في السورة بمدح المتقين ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾، وبين في آخر السورة أن الذين مدحهم في أول السورة هم أمة محمد ﷺ فقال: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ وهذا هو المراد بقوله في أول السورة ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ ثم قال ههنا: ﴿ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ وهو المراد بقوله في أول السورة: ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ثم قال ههنا: ﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ وهو المراد بقوله في أول السورة: ﴿ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ ثم حكى عنهم ههنا كيفية تضرعهم إلى ربهم في قولهم: ﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ إلى آخر السورة وهو المراد بقوله في أول

(١) البقرة / ٢: ٤ .

(٢) البحر المحيط ٢ / ٣٦٣، و– أيضا – دراسات قرآنية لمحمد قطب ص ٣٠٧ .

السورة: ﴿ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ فانظر كيف حصلت الموافقة بين أول السورة وآخرها)[١] .

ثانيا: أن لهذا الختام علاقة قوية – أيضا – بما قبله مباشرة .

وقد استبان لنا ذلك من سبب نزول قوله – تعالى –: ﴿ لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٢]

روى الإمام الواحدى في كتابه أسباب النزول[٣] بسنده عن أبي هريرة قال: " لما أنزل على رسول الله ﷺ ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ ﴾ الآية، اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ثم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال رسول الله ﷺ: " أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم ؟ – أراه قالوا –: سمعنا وعصينا، قولوا: " سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير " فلما اقترأها القوم وجرت بها ألسنتهم أنزل الله – تعالى – في إثرها ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ﴾ الآية كلها ونسخها الله – تعالى – فأنزل الله ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ الآية إلى آخرها " .

وروى – أيضا –[٤] بإسناده عن آدم بن سليمان قال: سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ

---

(١) مفاتيح الغيب ٧ / ١٢٧، و– أيضا – تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ٣ / ١٤٣ .
(٢) البقرة / ٢٨٤ .
(٣) ١ / ٦٦، وأخرجه مسلم في صحيحه ك الإيمان باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج ١/١١٥ (١٢٥).
(٤) ١ / ٦٦، وأخرجه مسلم في صحيحه ك الإيمان باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج ١/١١٦ (١٢٦) .

تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ ﴾ دخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها من شيء، فقال النبي ﷺ: " قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا "، فألقى الله – تعالى – الإيمان في قلوبهم، فقالوا: سمعنا وأطعنا، فأنزل الله – تعالى – ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ حتى بلغ ﴿ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ فقال: قد فعلت إلى آخر البقرة، كل ذلك يقول قد فعلت " .

وقد عقب الإمام البقاعى – رحمه الله – على هذا السبب – وقد ذكره – بقوله: (فقد تبين من هذا تناسب هذه الآيات، وأما مناسبتها لأول السورة رداً للمقطع على المطلع، فهو أنه لما ابتدأ السورة بوصف المؤمنين بالكتاب الذي لا ريب فيه على الوجه الذي تقدم ختمها بذلك بعد تفصيل الإنفاق الذي وصفهم به أولها على وجه يتصل بما قبله من الأوامر والنواهي والاتصاف بأوصاف الكمال أشد اتصال، وجعل رأسهم الرسول – عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام – تعظيماً للمدح وترغيباً في ذلك الوصف فأخبر بإيمانهم بما أنزل إليه بخصوصه وبجميع الكتب وجميع الرسل وبقولهم الدال على كمال الرغبة وغاية الضراعة والخضوع فقال – استئنافاً لجواب من كأنه قال –: ما فعل من أنزلت عليه هذه الأوامر والنواهي وغيرها ؟ ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ ﴾)[1] .

ويلاحظ من كلام الإمام البقاعى – رحمه الله – أنه أبان لنا عن مناسبة الختام لما قبله مباشرة ولمطلع السورة الكريمة – أيضا – وهو كلام نفيس يجمع ما قلناه في ذلك، فلله دره، قدس الله سره ...

ووافق أبو حيان – رحمه الله – البقاعى فيما بين الختام وما قبله من ترابط فقال – بعد أن ذكر سبب النزول أيضا –: (وظهر بسبب النزول مناسبة هذه الآية لما قبلها)[2] .

ثالثا: أن هذا الختام ينسجم وأول السورة ووسطها غاية الانسجام .

---

(١) نظم الدرر ١ / ١٦٨.

(٢) البحر المحيط ٢ / ٣٦٣ .

وذلك أن الآية الأولى من آيتي الختام تتضمن الأصول الخمسة لديننا الإسلامي الحنيف، وهو نفس الأمر الذي يتضمنه السورة ووسطها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (ثم شهد – تعالى – للمؤمنين بأنهم آمنوا بما آمن به رسولهم، ثم شهد لهم جميعا بأنهم آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله، فتضمنت هذه الشهادة إيمانهم بقواعد الإيمان الخمسة التي لا يكون أحد مؤمناً إلا بها، وهى : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

وقد ذكر – تعالى – هذه الأصول الخمسة في أول السورة ووسطها وآخرها، فقال في أولها: ﴿ والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[1] فالإيمان بما أنزل إليه وما أنزل من قبله يتضمن الإيمان بالكتب والرسل والملائكة، ثم قال :﴿ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ والإيمان بالله يدخل في الإيمان بالغيب وفى الإيمان بالكتب والرسل، فتضمنت الإيمان بالقواعد الخمس .

وقال فى وسطها : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾[2] ثم حكى عن أهل الإيمان أنهم قالوا: ﴿ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾[3] فنؤمن ببعض ونكفر ببعض، فلا ينفعنا إيماننا بمن آمنا به منهم كما لم ينفع أهل الكتاب ذلك، بل نؤمن بجميعهم ونصدقهم ولا نفرق بينهم، وقد جمعتهم رسالة ربهم فنفرق بين من جمع الله بينهم، ونعادى رسله، ونكون معادين له، فباينوا بهذا الإيمان جميع طوائف الكفار المكذبين لجنس الرسل، والمصدقين لبعضهم المكذبين لبعضهم)[4] .

---

(١) البقرة / ٤ .
(٢) البقرة / ١٧٧ .
(٣) البقرة / ٢٨٥ .
(٤) مجموع الفتاوى ١٤ / ١٣٤ .

رابعا: أن في هذا الختام – والسورة كلها – بيانا للصراط المستقيم الذي سأل المؤمنون والمصلون ربهم إياه في سورة الفاتحة، وأمورا عدة تجب على هؤلاء المهتدين...

وفى توضيح ذلك يقول الإمام البقاعى – رحمه الله –: (فحصل من هذه السورة – أي سورة البقرة – بأسرها بيان الصراط المستقيم على الاستيفاء والكمال أخذاً وتركاً وبيان شرف من أخذ به وسوء حال من تنكب عنه، وكان العباد لما علموا ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ﴾ إلى آخر السورة قيل لهم: عليكم بالكتاب إجابة لسؤالهم، ثم بين لهم حال من سلك ما طلبوا، فكان قيل لهم: أهل الصراط المستقيم وسالكوه هم الذين بيّن شأنهم وأمرهم، والمغضوب عليهم من المتنكبين هم اليهود الذين بين أمرهم وشأنهم، والضالون هم النصارى الذين بيّن أمرهم وشأنهم، فيجب على من رغب في سلوك الصراط المستقيم أن يحذر ما أصاب هؤلاء مما نبه عليه، وأن يأخذ نفسه بكذا وكذا، وأن ينسحب إيمانه على كل ذلك، وأن يسلم الأمر لله الذي تطلب منه الهداية، ويتضرع إليه بألا يؤاخذه بما يثمره الخطأ والنسيان، وألا يحمله ما ليس في وسعه، وأن يعفو عنه إلى آخر السورة . انتهى)[1] .

خامسا: أن هذا الختام الجليل يمثل تلخيصا وافيا لكل أو جل ما اشتملت عليه السورة الكريمة، وفى ذلك ما فيه من الإعجاز والإيجاز ...

فمن أراد التفصيل والبيان فعليه بقراءة السورة من أولها، ومن أراد مجملها وموجزها فعليه بقراءة هذا الختام ... وما أروع هذا الختام الذي يتناسق بعمق مع كل ما احتوت عليه أطول سورة في التنزيل العزيز ...

وعن ذلك يقول الشهيد / سيد قطب – رحمه الله – في مستهل السورة الكريمة: (وفى النهاية نرى ختام السورة ينعطف على افتتاحها فيبين طبيعة التصور الإيماني وإيمان الأمة المسلمة بالأنبياء كلهم ، وبالكتب كلها، وبالغيب وما وراءه مع السمع

(١) نظم الدرر ١ / ١٧٤ .

والطاعة: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

ومن ثم يتناسق البدء والختام ، وتتجمع موضوعات السورة بين صفتين من صفات المؤمنين وخصائص الإيمان)[1] .

وفى خاتمتها يقول: (هذا ختام السورة الكبيرة .. الكبيرة بحجمها التعبيري ؛ إذ هي أطول سور القرآن، والكبيرة بموضوعاتها التي تمثل قطاعاً ضخماً رحيباً من قواعد التصور الإيماني، وصفة الجماعة المسلمة، ومنهجها، وتكاليفها، وموقفها في الأرض، ودورها في الوجود، وموقف أعدائها المناهضين لها، وطبيعتهم، وطبيعة وسائلهم في حربها، ووسيلتها هي في دفع غائلتهم عنها من جهة، وتوقي مصيرهم المنكود من جهة أخرى .. كما شرحت السورة طبيعة دور الإنسان في الأرض، وفطرته، ومزالق خطاه، ممثلة في تاريخ البشرية وقصصها الواقعي .. إلى آخره ...

هذا ختام السورة الكبيرة .. في آيتين اثنتين .. ولكنهما تمثلان بذاتهما تلخيصاً وافياً لأعظم قطاعات السورة يصلح ختاماً لها، ختاماً متناسقاً مع موضوعاتها وجوها وأهدافها)[2] .

ثم وضح كيفية كون هذا الختام تلخيصا وافيا لأعظم قطاعات السورة فقال: (لقد بدأت السورة بقوله – تعالى –: ﴿ الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا

(١) في ظلال القرآن ١ / ٣٥ .
(٢) في ظلال القرآن ١ / ٣٣٩ بتصرف يسير .

أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ وورد في ثناياها إشارات إلى هذه الحقيقة، وبخاصة حقيقة الإيمان بالرسل جميعاً .. وها هي ذي تختم بقوله – تعالى –: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ... ﴾ وهو ختام يتناسق مع البدء كأنهما دفتا كتاب !

وقد حوت السورة الكثير من تكاليف الأمة المسلمة وتشريعاتها في شتى شؤون الحياة .. كما ورد فيها الكثير عن نكول بني إسرائيل عن تكاليفهم وتشريعاتهم .. وفي ختامها يجيء هذا النص المفصح عن الحد الفاصل بين النهوض بالتكاليف والنكول عنها، المبين أن الله – سبحانه – لا يريد إعنات هذه الأمة ولا إثقالها، وأنه كذلك لا يحابيها – كما زعمت يهود عن ربها – ولا يتركها سدى: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ... ﴾

وقد تضمنت السورة بعض قصص بني إسرائيل، وما أنعم الله عليهم به من فضل وما قابلوا به هذا الفضل من جحود، وما كلفهم من كفارات بلغ بعضها حد القتل: ﴿ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ﴾[1] وفي ختامها يرد ذلك الدعاء الخاشع من المؤمنين: ﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ... ﴾ .

وقد فرض في السورة على المؤمنين القتال، وأمروا بالجهاد والإنفاق في سبيل الله لدفع الكفر والكافرين .. وهي تختم بالتجاء المؤمنين إلى ربهم يستمدون منه العون على ما كلفهم، والنصر على عدوهم: ﴿ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .. إنه الختام الذي يلخص ويشير ويتناسق مع خط السورة الأصيل ..

وفي هاتين الآيتين كل كلمة لها موضعها، ولها دورها، ولها دلالتها الضخمة وهي قائمة في العبارة لتمثيل ما وراءها – وهو كبير – من حقائق العقيدة .. من

(١) البقرة / ٥٤ .

طبيعة الإيمان في هذا الدين وخصائصه وجوانبه، ومن حال المؤمنين به مع ربهم، وتصورهم لما يريده – سبحانه – بهم، وبالتكاليف التي يفرضها عليهم، ومن التجائهم إلى كنفه واستسلامهم لمشيئته وارتكانهم إلى عونه .. نعم .. كل كلمة لها دورها الضخم بصورة عجيبة، عجيبة حتى في نفس من عاش في ظلال القرآن، وعرف شيئاً من أسرار التعبير فيه، وطالع هذه الأسرار في كل آية من آياته)[1] .

وأخيرا قال – رحمه الله – عن هذا الختام: (إنه الختام الذي يلخص السورة، ويلخص العقيدة، ويلخص تصور المؤمنين، وحالهم مع ربهم في كل حين ..)[2] .

وهكذا يجسد هذا الختام الرائع تلخيص السورة الكبيرة الطويلة تلخيصا شافيا وافيا يجعل القارئ يدرك شيئا من أسراره التي أودعها الله – تعالى – في كتابه الكريم، فما أحكمه من كتاب، وما أروعه من أسلوب، وما أعجزه من كلام ...

سادسا: أن من أسرار هذا الختام الدلالة على تصديق المؤمنين بكل ما ذكر في السورة الجليلة من فرائض وأحكام وتشريعات وقصص ... وشهادة الله ﷻ لهم بكمال الإيمان وتمام الطاعة ...

وقد بين الإمام القرطبي – رحمه الله – هذه الدلالة إبان تفسيره هذا الختام فقال: (قال الزجاج: لما ذكر الله – تعالى – في هذه السورة فرض الصلاة والزكاة وبين أحكام الحج وحكم الحيض والطلاق والإيلاء وأقاصيص الأنبياء وبين حكم الربا ذكر تعظيمه – سبحانه – بقوله ﷻ: ﴿ لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾، ثم ذكر تصديق نبيه ﷺ، ثم ذكر تصديق المؤمنين بجميع ذلك فقال: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ﴾ أي: صدق الرسول بجميع هذه الأشياء التي جرى ذكرها، وكذلك المؤمنون كلهم صدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله)[3] .

---

(١) في ظلال القرآن ١ / ٣٣٩، تفسير القطان ١ / ١٧٣ .

(٢) في ظلال القرآن ١ / ٣٤٧ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣ / ٤٢٦، روح المعاني ٣ / ٦٦، زاد المسير في علم التفسير لابن الجو زى ١ / 345 .

سابعا: أن هذا الختام أوتيه النبي ﷺ من كنز تحت العرش، ولم يعطه أحد قبله ولا بعده، فهو خاص به ﷺ .

روى ابن حبان في الصحيح[1] عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: " فُضِّلْت عَلَى النَّاسِ بِثَلاثٍ: جُعِلَتْ لَنَا الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِداً، وَجُعِلَ تُرابُهَا لَنَا طَهُوراً إِذَا لَمْ نَجِدْ الْمَاءَ، وَجُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ المَلاَئِكَةِ، وَأُوتِيتُ هؤُلاَءِ الآيَاتِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ العَرْشِ لَمْ يُعْطَهُ مِثْلَهُ أَحَدٌ قَبْلِي، ولا بَعْدِي " .

ثامنا: كما أن هذا الختام – وسورة الفاتحة – نور بشر الله – تعالى – به نبيه ﷺ ولن يقرأ بحرف منهما إلا أوتيه ﷺ .

روى مسلم في صحيحه[2] بسنده عن ابن عباس قال: " بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضا[3] من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته " .

تاسعا: أن هذا الختام الكريم مما اختصت به أمة الإسلام دون سائر الأمم – كما اختص به رسولها ﷺ –

وقد ورد ذلك عن رسول الله ﷺ – أيضا – حيث يقول الله – تعالى – كلما قرأ الإنسان هذا الختام: " قد فعلت " .

---

(١) ك التاريخ باب ما فضل المصطفى ﷺ على من قبله من الخصال ١٤ / ٣١٠ (٦٤٠٠)، أحمد في مسنده ٥ / ٣٨٣ (٢٣٢٩٩)، وذكره الهيثمى في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦ / ٣١٢ وقال: ... ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٢) ك صلاة المسافرين وقصرها باب فضل القرآن وسورة البقرة ١ / ٥٥٤ (٨٠٦)، ابن حبان في الصحيح باب قراءة القرآن ذكر البيان بأن قارئ فاتحة الكتاب وآخر سورة البقرة يعطى ما يسأل في قراءته ٣ / ٥٧ (٧٧٨) .

(٣) أي: صوتا كصوت الباب إذا فتح .

ففي رواية مسلم في صحيحه[1] في سبب نزول قوله – تعالى –:﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ... ﴾ قال: " ... فأنزل الله – تعالى –: ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ قال: " قد فعلت " ﴿ رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ قال: " قد فعلت " ﴿ وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا ﴾ قال: " قد فعلت " .

ومعنى " قد فعلت " أي: عفوتُ عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على الكافرين، فأعطيت هذه الأمة خواتيم سورة لم تعطَها الأمم قبلها .

وفى حديث آخر بين الرسول الكريم ﷺ أن هذه الخصوصية هي عفو الله – تعالى – عن أمته ورحمته بها وتجاوزه عما حدثت – أو تحدث – أو وسوست به أنفسها ... الخ ما ورد في الحديث الشريف، وهو عين ما جاء في ختام السورة الكريمة .

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِى اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النبي ﷺ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لأمتي عَمَّا وَسْوَسَتْ أَوْ حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ أَوْ تَكَلَّمْ "[2] .

قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – إبان شرحه لهذا الحديث: (وفى الحديث إشارة إلى عظيم قدر الأمة المحمدية ؛ لأجل نبيها ﷺ لقوله: " تجاوز لـ " وفيه إشعار باختصاصها بذلك، بل صرح بعضهم بأنه كان حكم الناسي كالعامد في الإثم، وإن ذلك من الإصر الذي كان على من قبلنا، ويؤيده ما أخرجه مسلم عن

(١) ك الإيمان باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج ١ / ١١٦ (١٢٦) .
(٢) أخرجه البخارى في صحيحه ك الأيمان والنذور باب إذا حنث ناسيا فى الأيمان ... ٦ / ٢٤٥٤ (٦٢٨٧)، مسلم في صحيحه ك الإيمان باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج ١ / ١١٦ (١٢٧)

أبى هريرة قال: " لما نزلت ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ ﴾ اشتد ذلك على الصحابة " فذكر الحديث[1] ...)[2] .

وكما أن الله – تعالى – لا يعاقب على الوسوسة أو حديث النفس فإنه ﷻ – أيضا – لا يؤاخذ على النسيان كما ورد في الختام الجليل، وهذا ما ورد عن الرسول الكريم ﷺ – أيضا –

روى ابن ماجة في سننه[3] عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: " إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه " .

وبين الحافظ ابن حجر – رحمه الله – أن (مراد البخاري – من الحديث السابق – إلحاق ما يترتب على النسيان بالتجاوز ؛ لأن النسيان من متعلقات عمل القلب، وقال الكرمانى: قاس الخطأ والنسيان على الوسوسة، فكما أنها لا اعتبار لها عند عدم التوطن فكذا الناسي والمخطئ لا توطين لهما)[4] .

وإذا كان هذا الكلام في عدم مؤاخذة الله – تعالى – عباده المؤمنين على كل من النسيان والخطأ فإنه لا يزال يبقى في الختام دعاء آخر وهو ﴿ رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ وهذا – أيضا – مما اختصت به أمة الإسلام، ومما يقبله الله – تعالى – منهم .

---

(١) راجع: هـ (٤) ص ٤٤ .

(٢) فتح الباري لابن حجر ١١ / ٥٥٢ .

(٣) ك الطلاق باب من طلق أو نكح أو راجع لاعبا ١ / ٦٥٩ (٢٠٤٥) وفي الزوائد: إسناده صحيح إن سلم من الانقطاع، والظاهر أنه منقطع بدليل زيادة عبيد بن نمير في الطريق الثاني، وليس ببعيد أن يكون السقط من جهة الوليد ابن مسلم فإنه كان يدلس، وقال الشيخ الألباني: صحيح . الزوائد ١ / ٦٥٩ ، ورواه ابن حبان في صحيحه باب فضل الأمة ذكر الأخبار عما وضع الله بفضله عن هذه الأمة ١٦ /٢٠٢ (٧٢١٩) وقال شعيب الأرناءوط: إسناده صحيح على شرط البخاري .

(٤) فتح الباري ١١ / ٥٥٢ .

يقول الإمام البقاعى – رحمه الله – عن قوله – تعالى –: ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾: إنه يتضمن (بشرى بتعيين القائلين المذعنين ومن تبعهم بالقول لحال المغفرة ؛ لأن هذه الخواتيم مقبولة من العبد بمنزلة الفاتحة ؛ لاجتماعهما في كونهما من الكنز الذي تحت العرش، وعلى ما ورد من قوله: " حمدني عبدي " إلى أن قال: " ولعبدي ما سأل " وعلى ما ورد في دعاء هذا الختم في قوله: " قد فعلت، قد فعلت " وبما ابتدأ – تعالى – به آية هذا الحساب وختمها به من سلب الأمر – أولاً – وسلب القدرة عما سواه – آخراً –، وكان في الابتداء والختم إقامة عذر القائلين، فوجب لهم تحقق الغفران كما كان لأبيهم آدم حيث تلقى الكلمات من ربه)[1] .

وعلى كل فالختام يتضمن الدعاء الذي أخبر الله – تعالى – به عن النبيﷺ، وعن المؤمنين، وجعله في كتابه ؛ ليكون دعاء النبي ﷺ لهم دعوة يدعون بها من بعده ؛ لأن هذا الدعاء قد استجيب له، فينبغي أن يحفظ ويدعى به كثيراً[2] .

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال عن هذا الختام : (اعلم أن الله ﷻ أعطى نبيه محمدا – صلى الله عليه وسلم وبارك – خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤت منه نبي قبله، ومن تدبر هذه الآيات وفهم ما تضمنته من حقائق الدين، وقواعد الإيمان الخمس، والرد على كل مبطل، وما تضمنته من كمال نعم اللّه – تعالى – على هذا النبي ﷺ وأمته، ومحبة الله – سبحانه – لهم، وتفضيله إياهم على من سواهم، فَلْيَهْنَهُ العلم)[3] .

<u>عاشرا:</u> أن هذا الختام يتفق مع سورة الفاتحة من حيث التأمين بعد أن يفرغ الإنسان من قراءتهما .

---

(١) نظم الدرر ١ / ١٧٣ .
(٢) راجع: بحر العلوم للسمرقندى ١ / ٢٣٧ .
(٣) مجموع الفتاوى ١٤ / ١٢٩ .

فعن معاذ بن جبل أنه كان إذا فرغ من قراءة هذه السورة قال: آمين[١] .

ووجه القاضي ابن عطية – رحمه الله – ذلك فقال: (هذا يظن به أنه رواه عن النبي ﷺ فإن كان ذلك فكمال، وإن كان بقياس على سورة الحمد من حيث هناك دعاء وهنا دعاء فحسن)[٢] .

حادي عشر: أن قراءة هذا الختام في ليلة تكفى صاحبها من كل شر وسوء ...

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما[٣] من حديث أبي مسعود البدري عن النبي ﷺ أنه قال: " الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه " .

وأدرك على بن أبى طالب ﷺ فوائد ذلك وأهميته فقال: " ما أظن أحداً عقل وأدرك الإسلام ينام حتى يقرأهما " .

ثاني عشر: أن في آخر هذا الختام دعاء المؤمنين ربهم بالنصر على الكافرين، وهذا هو غايتهم، وهو السبيل الأقوم والدافع الأعظم لقيام شرع الله – تعالى – وعلو دينه ... وما يترتب على ذلك من السعادات والخيرات للبشرية كلها .

وهذا ما أومأ إليه العلامة أبو السعود – رحمه الله – بقوله في آخر دعاء المؤمنين ﴿ فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾: (والمرادُ به عامةُ الكفرة، وفيه إشارة إلى أن إعلاء كلمةِ الله والجهادَ في سبيله – تعالى – حسبما أُمر في تضاعيف السورة الكريمة غايةُ مطالبهم)[٤] .

---

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ١ / ٢٤١ .

(٢) المحرر الوجيز ١ / ٣٧٣ .

(٣) البخاري ك المغازى باب شهود الملائكة بدرا ٤ /١٤٧٣ (٣٧٨٦)، مسلم ك صلاة المسافرين باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ١ / ٥٥٤ (٨٠٧) .

(٤) إرشاد العقل السليم لأبى السعود ١ / ٢٧٧ .

وقال ابن عطية – رحمه الله –: (ثم ختمت الدعوة بطلب النصر على الكافرين الذي هو ملاك قيام الشرع وعلو الكلمة ووجود السبيل إلى أنواع الطاعات)[١] .

وبالوقوف على ما في هذا الختام من دقائق وفوائد – حسب جهدنا المحدود – لنا أن نقول: حقا، ما أروعه من ختام، وما أعظمه من كلام، وكيف لا يكون كذلك وهو كلام الحكيم الحميد، الجليل المجيد ﷻ !!! .

النموذج الثالث: خاتمة سورة آل عمران[٢] .

وهو قوله – تعالى –: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

وللختام بها في السورة الجليلة أسرار عديدة وحكم شتى نستعين الله – تعالى – على بيانها وتجليتها فيما يلي:

أولا: أن التمسك بما في هذا الختام من وصايا وأوامر سبب انتصار المؤمنين، وإضاعة مكائد الأعداء الكافرين ...

وعن الأمر الأول – وهو أن التمسك به سبب انتصار المؤمنين – يقول القرطبي – رحمه الله –: (ختم – تعالى – السورة بما تضمنته هذه الآية العاشرة من الوصايا التي جمعت الظهور في الدنيا على الأعداء، والفوز بنعيم الآخرة فحض على الصبر على الطاعات وعن الشهوات)[٣] .

(١) المحرر الوجيز ١ / ٣٧٣ .
(٢) آية (٢٠٠) .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٤ / ٣٢٢، المحرر الوجيز ٢ / ٦٦، تفسير المنار ٤ / ٣١٨ .

وذكر الألوسى – رحمه الله – أن التمسك به سبب في إضاعة مكائد الأعداء وتدبيرهم فقال: (ثم لما بين – سبحانه – في تضاعيف هذه السورة الكريمة ما بين من الحكم والأحكام، وشرح أحوال المؤمنين والكافرين، وما قاساه المؤمنون الكرام من أولئك اللئام من الآلام ختم السورة بما يضوع منه مسك التمسك بما مضى، ويضيع بامتثال ما فيه مكايد الأعداء ولو ضاق لها الفضا فقال – عز من قائل – : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ ... ﴾)[1] .

ثانيا: أن في هذا الختام إرشادا للمؤمن إلى ما فيه مصلحة دينه ودنياه ... التي فيها فلاحه وهداه، ورضا الله – تعالى – وتقواه ...

فأما مصلحة الدين ففي قوله – تعالى –: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ وأما مصلحة الدنيا ففي قوله ﷻ: ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ وعلى هذا فدلالة الختام على هاتين المصلحتين جلية واضحة ... وثمرة هذه الدلالة هي فلاح الإنسان وصلاحه – أولا – حيث التزم بما أمر الله به، واجتنب ما نهى عنه، ورضا الله – تعالى – بعد ذلك عنه في الدنيا والآخرة، وهو ما يترتب علي الفلاح الذي جاء في آخر الختام .

وفصل العلامة الألوسى – رحمه الله – في هذا الإرشاد فقال: (إنه – تعالى – أمر بالصبر العام – أولاً – ؛ لأنه كما في الخبر بمنزلة الرأس من الجسد وهو مفتاح الفرج .

وقال بعضهم: لكل شيء جوهر وجوهر الإنسان العقل، وجوهر العقل الصبر، وادعى غير واحد أن جميع المراتب العلية والمراقي السنية الدينية والدنيوية لا تنال إلا بالصبر، ومن هنا قال الشاعر: لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى ... فما انقادت الآمال إلا لصابر .

ثم إنه – تعالى – أمر – ثانياً – بنوع خاص من الصبر وهو المجاهدة التي يحصل بها النفع العام والعز التام، وقد جاء عن رسول الله ﷺ: " إذا تركتم الجهاد

(١) روح المعاني ٤ / ١٧٥، التحرير والتنوير ٤ / ٢٠٨ .

سلط الله – تعالى – عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم "[1] ثم ترقى إلى نوع آخر من ذلك هو أعلى وأغلى وهو المرابطة التي هي الإقامة في ثغر لدفع سوء مترقب ممن وراءه، ثم أمر – سبحانه – آخر الأمر بالتقوى العامة ؛ إذ لولاها لأوشك أن يخالط تلك الأشياء شيء من الرياء والعجب، ورؤية غير الله – سبحانه – فيفسدها، وبهذا تم المعجون الذي يبرئ العلة وروق الشراب الذي يروي الغلة، ومن هنا عقب ذلك بقوله – عز شأنه –: ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2] .

ثالثا: أن هذا الختام يرتبط بمفتتح سورة النساء – وهى التي تليه مباشرة – ارتباطا وثيقا .

ويتجلى ذلك في أن الختام تضمن الأمر بالتقوى حيث قال– سبحانه –: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ وورد نفس الأمر في الافتتاح مرتين بصيغة الربوبية مرة، وبصيغة الألوهية أخرى، قال ﷻ: ﴿ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾، ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾[3] .

رابعا: أن في هذا الختام أمرا بالجهاد والمرابطة، وهذا طريق أهل الرشاد والهدى والسداد...

قال الإمام البقاعى – رحمه الله – وهو بصدد تجلية سر ترتيب سورتي البقرة وآل عمران على ما هما عليه: (وختم بالإشارة إلى أن عمدة ذلك[4] الجهاد الذي

---

(١) جزء من حديث أخرجه أبو داود ك الإجارة باب في النهى عن العينة ٢ / ٢٩٦ (٣٤٦٢) وقال الشيخ الألباني: صحيح ، ورواه أحمد في كتاب الزهد بسنده عن ابن عمر قال: أتى علينا زمان وما يرى أحدنا أنه أحق بالدينار والدرهم من أخيه المسلم ثم أصبح الدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة واتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله أنزل الله بهم ذلا فلم يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم " قال ابن القطان: وهذا حديث صحيح ورجاله ثقات . نصب الراية للزيلعى ٤ / ٢٤ .

(٢) روح المعاني ٤ / ١٧٥، ١٧٦، دراسات قرآنية ص ٤٠٤ .

(٣) النساء / ١ .

(٤) وهى الأعمال التي ذكرها لهم، وحثهم عليها في السورتين الكريمتين .

لذوي الغي والعناد، والاعتماد فيه على مالك الملك وملك العباد، وذلك هو طريق أهل الرشاد، والهداية والسداد، والله ﷻ هو الموفق للصواب)[1] .

خامسا: أن في هذا الختام تلخيصا لمتطلبات منهج الله – تعالى – من عباده المؤمنين في الأرض .

وبين ذلك الشهيد / سيد قطب – رحمه الله – فقال: (ثم يجيء الإيقاع الأخير في نداء الله للذين آمنوا، وتلخيص أعباء المنهج، وشرط الطريق: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

إنه النداء العلوي للذين آمنوا، نداؤهم بالصفة التي تربطهم بمصدر النداء، والتي تلقي عليهم هذه الأعباء، والتي تؤهلهم للنداء وتؤهلهم للأعباء، وتكرمهم في الأرض كما تكرمهم في السماء: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ﴾ النداء لهم للصبر والمصابرة، والمرابطة والتقوى ..

وسياق السورة حافل بذكر الصبر وبذكر التقوى .. يذكران مفردين، ويذكران مجتمعين .. وسياق السورة حافل كذلك بالدعوة إلى الاحتمال والمجاهدة ودفع الكيد وعدم الاستماع لدعاة الهزيمة والبلبلة، ومن ثم تختم السورة بالدعوة إلى الصبر والمصابرة، وإلى المرابطة والتقوى فيكون هذا أنسب ختام...

إنه الإيقاع الأخير في السورة التي حوت ذلك الحشد من الإيقاعات، وهو جماعها كلها، وجماع التكاليف التي تفرضها هذه الدعوة في عمومها .. ومن ثم يعلق الله بها عاقبة الشوط الطويل وينوط بها الفلاح في هذا المضمار: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾)[2] .

سادسا: أن هذا الختام يوجب المحافظة على كل ما تضمنته السورة من الأحكام وغيرها ...

---

(١) نظم الدرر ١ / ١٩٤ .

(٢) في ظلال القرآن ١ / ٥٥٣ بتصرف .

وفى ذلك يقول العلامة أبو السعود – رحمه الله –: (﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ﴾ إثرَ ما بيّن في تضاعيف السورةِ الكريمةِ فنونَ الحُكم والأحكامِ خُتمت بما يوجب المحافظة عليها فقيل ﴿ اصْبِرُوا ﴾)[1] .

وبهذا القدر المتواضع ندرك عظمة هذا الختام الرائع، وجلاله وكماله، وإعجازه وإيجازه ... شأنه في ذلك شأن خواتم السور الكريمة جميعها .

وبهذه النماذج الثلاثة – أيضا – نكتفي في التدليل على أن علم خواتم السور مليء بالأسرار والحكم واللآليء والدرر ... ومن أراد المزيد فعليه بمعايشة سائر الخواتم والتأمل فيها ... ونسأل الله– تعالى – أن يعيننا على إتمام ما ابتدأناه، وإكمال ما قصدناه ؛ إنه نعم المولى ونعم النصير .

(١) إرشاد العقل السليم ٢ / ١٣٦ .

الخاتمة – نسأل الله تعالى حسنها –

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

وبعد

فبعد هذه المعايشة الممتعة والتطوافة الرائعة في هذه الرياض النضرة والأزاهير الفواحة العطرة يطيب لنا – بحمد الله تعالى – أن نسجل بعض النتائج والتوصيات، وذلك فيما يلي:

* أن القرآن الكريم بحر مليء باللآليء والدرر ... في الآيات والسور ... وأن البحار وغيرها تنفذ وتنفد، وعطاء القرآن يزداد ويتجدد ... وصدق الله ﷻ إذ يقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١)، ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾(٢) .

والمطلوب منا لنقف على ذلك أن نعايش هذا الكتاب ونعيش معه، وأن نتدبر حروفه وكلماته، وسوره وآياته ... وفى ذلك ذكرى للذاكرين .

* أن العلوم التي تخدم كتاب الله – تعالى – عديدة لا يمكن حصرها أو استقصاؤها، بيد أن بعضها – وهو قليل نادر – بحاجة منا نحن المعاصرين إلى أن نجليه ونوضحه، ونسبر أغواره، ونلج غماره ؛ لندرك حكمه وأسراره، ونهتدي بضيائه وأنواره ...

وذلك مثل موضوعنا فقد كتب فيه القدامى صفحة أو صفحتين، وحين عشنا معه ودققنا النظر فيه، وأعدنا كتابته استبان لنا بعض ما حواه واشتمل عليه من درر نفيسة، ولآليء عديدة ...

---

(١) لقمان / ٢٧ .

(٢) الكهف / ١٠٩ .

وقد أصاب الدكتور فهد الرومي – وفقه الله – حين قال: (والحق أن كثيرا من المباحث في علوم القرآن لا تزال بحاجة إلى النظر في مسائلها، وإعادة الكتابة فيها، وعدم الاكتفاء والتسليم بما قاله فلان وفلان من غير دليل، وعلوم القرآن أوسع من أن يحيط بها أبناء جيل أو أجيال من البشر)[١] .

* أن الخواتم على تعددها وكثرتها بعدد وكثرة السور الكريمة يمكن حصرها واستيعابها ؛ ليسهل على القارئ معرفتها وفهمها ... كما أمكن حصر الفواتح المباركة .

* أن الغرض من دراستنا وبحثنا لموضوع علم الخواتم هو إبراز ما فيها من حكم ولطائف، ودقائق ومعارف، وأسرار وفوائد ... وما يترتب على ذلك كله من إعجاز التنزيل العزيز – وهو كذلك ولا ريب – في خواتم سوره ونهاياتها، كما أنه معجز في مفتتحها وبداياتها، وفى كلماته وحروفه كلها ...

وعلى هذا فلا يمكن لأي مخلوق – مهما كان علمه وبلغ شأوه – أي يبدل خاتمة مكان خاتمة، أو آية مكان آية، أو كلمة مكان كلمة، أو حرفا مكان حرف ... الخ ؛ لأن الإعجاز – حقا وصدقا – في هذا الترتيب المحكم، والتنسيق الدقيق، والنظم الفريد، والنسج العجيب ... الذي أنزله الحكيم الحميد، وفصله الحكيم الخبير ﷻ، وقال عنه – بعد ذلك –: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[٢] .

وما أروع كلام الإمام ابن قيم – رحمه الله – (فتبارك من أودع كلامه من الحكم والأسرار والعلوم ما يشهد أنه كلام الله، وأن مخلوقا لا يمكن أن يصدر منه مثل هذا الكلام أبدا)[٣] .

---

(١) دراسات في علوم القرآن الكريم للدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي ص ٤٦ .
(٢) الحجر / ٩ .
(٣) بدائع الفوائد ١ / 74 بتصرف يسير .

وقوله – أيضا –: (فتبارك من أودع كلامه من الأسرار ما يشهد بأنه تنزيل من حكيم حميد)[1] .

* أن الحكم والأسرار والفوائد التي وقفنا عليها من خلال النماذج التي ذكرناها لعلم الخواتم هي فيض من غيض، وقُل من كثر من حكم شتى وأسرار عدة وفوائد كثيرة قد تتجلى لغيرنا إذا عرض لموضوعنا، ويبقى – بعد ذلك – كثير وكثير – أيضا – لا يعلمه إلا الله ﷻ وحده فهو – وحده – أعلم بحقيقة المراد من كلامه ﷻ .

ولله در القائل: وعلى تفنن واصفيه بحسنه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

* أن كتب علوم القرآن والتفاسير وغيرها كثير من المصنفات والمؤلفات التي عنيت بكتاب الله – تعالى – مليئة ومكتظة بالأسرار والحكم والدقائق ... وما علينا إذا أردنا معرفة شيء منها أو الوقوف عليها إلا أن نولى وجوهنا شطرها، وأن نقلب صفحاتها ففيها الخير كله، والسعادة كلها ؛ إذ لا سعادة تضاهى الحياة في رحاب كتاب الله – تعالى –

* أن هذا الموضوع أبان عن مزج كبير وربط كثير بين عِلْمين جليلين لا غناء لنا عنهما، هما علوم القرآن الكريم وعلم التفسير، ولا ريب أن العلاقة بينهما قديمة، وليست جديدة، وإنما مقصدنا من ذلك هو إخراج هذا المزج والترابط إلى عالم الواقع وتجسيده أمام الناس يقرؤونه ويرونه ويوقنون به .

* **وأخيرا:** نوصى أنفسنا وجميع الباحثين – لا سيما – المتخصصين في التفسير وعلوم القرآن الكريم أن يواصل الجميع البحث والتنقيب عن أسرار علم الخواتم، ويجسدوها للناس عامة – كما جسدوا أسرار علم الفواتح – ليقفوا على عظمة التنزيل، وروعة الإعجاز، ودقة الأسلوب، وحسن الخواتم ... فيزدادوا إيمانا فوق إيمان، ويقينا فوق يقين ... ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾[2] .

---

(١) بدائع الفوائد ٢ / 24 .

(٢) المطففين / ٢٦ .

وفـى الختـام: أسـأل الله – تعـالى – أن يكـون هـدفنا مـن موضـوعنا قـد بـان واتضـح، وأن نكـون – حقـا – قـد أفـدنا بعـض اللآلـيء والـدرر والحكـم والأسـرار المنوطة بهذ الخواتم التي عرضنا لها، ووقفنا – بعد – على لون من ألوان إعجاز قرآننـا فيهـا ... فـإن كـان الأمـر كـذلك – صـدقا – فالفضـل لله – وحـده – فمنـه التوفيق والسند، والعون والهدى والمدد ... وإن كانت الأخرى فمنى ومن الشيطان ... وحسبي – أولا – أنني اجتهدت – ومن اجتهد فأصاب فله أجران، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر وحسبي– أيضا – أنني بشر أصيب وأخطئ ما لم يحمني القدر ...

وآخر دعوانا ﴿ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1] .

وصلى الله – تعالى – على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم .

(١) يونس / ١٠ .

أهم المراجع والمصادر

القرآن الكريم

*** كتب التفسير:**

– إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبى السعود = محمد بن محمد بن مصطفى ت٩٨٢هـ، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت .

– التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي = محمد بن عمر ت٦٠٦هـ، نشر دار الكتب العلمية، طهران، الثانية .

– الجامع لأحكام القرآن للقرطبي = محمد بن أحمد ت٦٧١هـ، نشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م .

– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى = محمود ابن عمر ت٥٢٨هـ، تح وتع ودراسة الشيخ / عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ / على محمد معوض، ط مكتبة العبيكان، الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .

– بحر العلوم للسمرقندي = نصر بن محمد ت٣٧٥هـ، تح، تع / الشيخ على محمد معوض، الشيخ / عادل أحمد عبد الموجود، د / زكريا عبد المجيد النوتي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .

– تفسير البحر المحيط لأبى حيان = محمد بن يوسف ت٧٤٥هـ، نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية .

– تفسير القرآن العظيم لابن كثير = إسماعيل بن عمر ت٧٧٤هـ، تحقيق / سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م .

– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي = محمود بن عبد الله شهاب الدين ت١٢٧٠هـ، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت .

– زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي = عبد الرحمن بن علي بن محمد ت٥٩٧هـ، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة ١٤٠٤هـ .

– فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكانى = محمد بن على ت١٢٥٠هـ، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان .

– في ظلال القرآن لسيد قطب، ط دار الشروق، السابعة ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .

– معالم التنزيل للبغوى = أبى محمد الحسين بن مسعود ت٥١٦هـ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، نشر دار طيبة للنشر والتوزيع، الرابعة ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

– نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعى = إبراهيم بن عمر ت٨٨٥هـ، ط المكتبة التجارية، مكة المكرمة، الثانية ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

*** كتب علوم القرآن الكريم وأسباب النزول:**

– أسباب النزول للواحدى = على بن أحمد ت٤٦٨هـ، وبهامشه الناسخ والمنسوخ لهبة الله ابن سلامة، ط عالم الكتب، بيروت .

– الإتقان فى علوم القرآن للسيوطي = عبد الرحمن بن أبى بكر ت٩١١هـ، تح / مركز البحوث والدراسات بمكتبة نزار مصطفى الباز، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .

– البرهان في علوم القرآن للزركشي = محمد بن بهادر ت٧٩٤هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار المعرفة، بيروت ١٣٩١هـ .

– العجاب في بيان الأسباب لابن حجر = أحمد بن على ت٨٥٢هـ، تح / عبد الحكيم محمد الأنيس، نشر دار ابن الجوزى، الدمام، ١٩٩٧م .

– دراسات فى علوم القرآن الكريم للدكتور / فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الطبعة الحادية عشرة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م .

– علوم القرآن بين البرهان والإتقان دراسة موازنة للدكتور / حازم سعيد حيدر، ط مكتبة الزمان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الثانية ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

*** كتب الحديث الشريف وشروحه:**

– الجامع الصحيح المختصر للبخاري = محمد بن إسماعيل ت٢٥٦هـ، تح د/ مصطفى ديب البغا، نشر دار ابن كثير، اليمامة، الثالثة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

– سنن أبى داود = سليمان بن الأشعث ت٢٧٥هـ، تح / محمد محيى الدين عبد الحميد، نشر دار الفكر .

– سنن النسائي = أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن ت٣٠٣هـ، تح / عبد الفتاح أبو غدة، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية، الثانية ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م .

– صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان لمحمد بن حبان بن أحمد ت٣٥٤هـ، تح / شعيب الأرناءوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الثانية ١٤١٤هـ ت ١٩٩٣م .

– صحيح مسلم للإمام مسلم = مسلم بن الحجاج ت٢٦١هـ، تح / محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت .

– فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر = أحمد بن علي ت٨٥٢هـ، نشر: دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ .

– مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى = على بن أبى بكر ت٨٠٧هـ، نشر دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت ١٤٠٧هـ .

– مسند الإمام أحمد بن حنبل ت٢٤١هـ، نشر مؤسسة قرطبة، مصر .

*** كتب اللغة والمعاجم :**

– التعريفات للجرجانى = على بن محمد الشريف ت ٨١٦ هـ، تح وزيادة د / محمد عبد الرحمن المرعشلى، ط دار النفائس، الثانية ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

– الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري = إسماعيل بن حماد ت٣٩٣هـ، تح / أحمد عبد الغفور عطار، ط دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الرابعة ١٩٩٠م .

– القاموس المحيط للفيروز آبادي = محمد بن يعقوب ت٨١٧ هـ، ط دار الكتاب العربي .

– المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي = أحمد بن محمد بن على ت٧٧٠هـ، تح أ / يوسف الشيخ محمد، ط المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الثانية ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

– تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي = محمد مرتضى ت١٢٠٥هـ، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط المطبعة الخيرية، مصر، الأولى ١٣٠٦هـ .

– لسان العرب لابن منظور = محمد بن مكرم، نشر: دار صادر، بيروت، الأولى .

– معجم مقاييس اللغة لابن فارس = أحمد بن فارس بن زكريا ت٣٩٥هـ، تح أ / عبد السلام هارون، ط مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده .

*** كتب أخرى:**

– بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية جمع وتوثيق وتخريج / يسرى السيد محمد، ط دار ابن الجو زى، المملكة العربية السعودية، الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م

– بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية = محمد بن أبي بكر ت٧٥١هـ، ط دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان

– مجموع فتاوى ابن تيمية = أحمد بن عبد الحليم، ط مكتبة ابن تيمية .